روايات رومانسية عالمية

عبير

جانيت ديلي

زوجة الهندي

www.rewity.com/vb

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية

عبير

www.rewity.com/vb

زوجة الهندي

القدر
المكتوم محتوم ثابت كدوران
الارض .تحدث كوارث عظمى يموت فيها
الملايين وفجأة من خلال الانقاض يبرز طفل لم
يصب بخدش , وكأن شيئا لم يكن. وعندما سقطت بهم
الطائرة, وقتل طيارها لم تتوقع ليا ان يكون رايلى
سميث, نصف الهندى, الذى يتمتع بسمعه غير واضحه , هو
رفيقها فى الصحراء المترامية الاطراف, لكن هذا الهندى
برهن من خلال ايام الضياع ولياليه عن نبل وبساله وحكمه
اين منها هزال صديقها الامريكى. . هل تستطيع ليا ان
تقاوم حبها الصحراوى وتعود الى حياتها العادية بعد
تشرد القفار وجوعها وعطشها وبذلك تنقذ
نفسها من رايلى سميث الى الابد؟

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية - القاهرة
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت ٥١٤٢٩٥٥٠ - موبايل ٠١٢٣٧٨٦٤١٨٠

١ - ذاهبة الى اخي

قلّبت ليا تالبوت صفحات المجلة بعصبية. ولم تلفت المقالات انتباهها لأنها ركزت نظراتها على الساعة المعلقة في الجدار فوق مكتب الاستعلامات.

اما في الخارج، فكانت كرة الشمس الذهبية تنحدر من كبد السماء، وتلقي اشعتها لوناً اصفر شاحباً على اجنحة الطائرات الرابضة في حظيرة المطار.

توقفت قرقعة الآلة الكاتبة. ثم نهضت المرأة ذات الشعر الأسود عن كرسيها خلف مكتب الاستقبال، واستدارت نحو زميلتها، وهي امرأة متقدمة في السن ذات شعر اشقر عولج حتى اخفى صباغه النحاسي لطخات الشيب فيه.

وتساءلت المرأة ذات الشعر الأسود:

«هل تريدين فنجاناً من القهوة يا جون».

هزت المرأة رأسها من دون ان ترفع عينيها عن دفاتر الحسابات الملقاة امامها على الطاولة. وحملت المرأة السمراء فنجانين بيدها. وسارت نحو الباب الذي يعلو بارتفاع الخصر، ودفعته بوركها فانفتح.

ثم ابتسمت لليا بتهذيب:

«ما رأيك بفنجان آخر يا آنسة تالبوت؟».

ونظرت ليا الى فنجان البلاستيك الفارغ الملقى امامها على المنضدة وهي تتردد. ثم هزت كتفيها قائلة:

«فكرة حسنة».

وداعبت ثغرها المغري بابتسامة خفيفة ساخرة.

نفضت ليا تنورتها البيج الرقيقة. والتقطت الفنجان الفارغ

وسارت متحاشية الاصطدام بامتعتها فيما هي تتبع المرأة السمراء التي طرحت عليها سؤالاً بديهياً ينم عن التعاطف:

«هل اتعبك الانتظار؟».

علقت ليا وهي تتنفس الصعداء:

«حتى اكاد اجن».

استقر ابريق القهوة الزجاجي في موضعه الساخن على الطاولة. وبقربه آلات اوتوماتيكية تبيع وجبات خفيفة من الحلويات والشطائر الباردة.

ولما فرغت المرأة من ملء كوب ليا، استدارت نحو الكوبين الآخرين:

«ألست ذاهبة لزيارة اهلك؟».

اجابت ليا:

«اجل. انني ذاهبة لزيارة اخي لوني».

امسكت ليا الفنجان الساخن بحذر شديد. ثم حدقت الى النوافذ والشمس الغارقة على مهل. ودفعت شعرها الكستنائي خلف ظهرها بعصبية.

قالت المرأة:

«ربما كان من الأفضل ان تتصلي به هاتفياً وتبلغيه بهذا التأخير».

هزت ليا رأسها هزة سريعة:

«لا داعي لذلك. فهو لا يعرف انني سأزوره. فلقد قررت ان اجعلها له مفاجأة بمناسبة عيد ميلاده، الذي يصادف غداً».

ثم نظرت الى عقارب الساعة، واضافت:

«آمل ان تكون مفاجأة له، لكن علي الوصول الى هناك اولاً».

وضحكت المرأة وهي تعلق:

«ماذا يفعل شقيقك في اوستن؟ فبامكان المرء ان يزور بضع مدن في نيفادا قبل ان يفكر بزيارة اوستن».

واجابت ليا مبتسمة:

«فعلاً، اشار في رسالته الى ان اوستن ليست مدينة صاخبة، وانه يعيش هناك مؤقتاً. فهو موظف في شركة تعدين، وعضو في فريق عمل ارسلته الشركة الى اوستن ليجري بعض الاختبارات».

ردت المرأة ابريق القهوة الى موضعه، وهي تسأل:

«وماذا عن سائر افراد اسرتك؟».

ثم حملت المرأة الفنجانين. وبدأت تسير نحو مكتب الاستعلامات وهي تنظر بفضول الى الفتاة الجذابة، التي تمشي بجانبها.

ردت ليا:

«ليس هناك سوى والديّ اللذين يعيشان في الاسكا حيث يعمل والدي في السلاح الجوي».

فقالت المرأة:

«هذا يفسر اعتياد فتاة صغيرة في مثل سنك على الطيران».

لم تظن ليا نفسها صغيرة ولها من العمر اثنتان وعشرون سنة. ولكن، ربما بدت هذه السن صغيرة بالنسبة الى المرأة التي قاربت الاربعين من عمرها. ولم تحاول ليا ان تفهمها انه ليس من عادتها ان تسافر بالطائرة. فالوقت، الذي يمر بسرعة مذهلة، كان العامل المهم في اختيارها لوسيلة النقل هذه.

ونظرت ليا الى الساعة. ثم سألت بعصبية:

«كم سيمر من الوقت قبل ان ننطلق؟».

هزت المرأة كتفها وهي تضع احد الكوبين على الطاولة للتمكن من فتح الباب:

«لا ادري. ولكني اعتقد انكما ستنطلقان فور وصول السيد سميث».

وازعج جوابها ليا، التي انتظرت ساعتين حتى الآن. وبدا ان تأخر السيد سميث لم يزعج سواها، فقد قبله الجميع وكأنه امر طبيعي. فهو، في اي حال، زبون دائم للشركة.

www.rewity.com/vb

ثم جلست بثبات على الاريكة المغطاة بقماش الفينيل. وقالت في نفسها ان اسوأ ما يمكن حدوثه هو عدم حضور السيد سميث، لأنها انفقت معظم مدخراتها للحصول على حصتها من رحلة الطيران المستأجرة هذه. ولولا مشاركة السيد سميث، لما كان بامكانها دفع تكلفة الطائرة والطيار.

بدا الحظ حليفها يوم جاءت تستفسر عن اجرة الطيران. ولما اطلعت على كلفة الرحلة، ابدت استعدادها للرجوع عن الفكرة بسبب الأجر الباهظ. غير ان سؤالاً عن موعد سفرها، ادى الى اكتشاف رحلة طيران في يوم الجمعة نفسه وبالاتجاه عينه.

وانتظرت ليا على احر من الجمر حتى تأكدت من موافقة السيد سميث على مشاركتها اجرة السفر. ثم اقرت بتنهيدة ان انتظارها لم ينته بعد.

وانفتح باب يصل قاعة الانتظار بحجرة الاستقبال. واطل منه رأس رجل كسا الشيب مفرقه وتجعدت جبهته. وقال:

«ماري، هل سمعت اي شيء من رايلي بعد اتصاله الذي قال فيه انه سيتأخر؟».

اجابت المرأة، وقد رفعت يديها وفتحت راحتيها:

«آسفة يا غرادي، فإنني لم اتبلغ شيئاً».

ثم وقع وثيقة الرحلة متسائلاً:

«اين هو المسافر الآخر؟».

ردت موظفة الاستعلامات، وهي تشير الى ليا الجالسة على الاريكة:

«ها هي».

تحول نظره الى ليا. وسرعان ما غاب العبوس عن محياه، وعلت وجهه ابتسامة عريضة:

«هل انت الآنسة تالبوت؟».

وازدادت ابتسامته اشراقاً عندما هزت ليا رأسها بالايجاب.

«يا لها من مفاجأة سارة. الحقيقة انني خشيت ان التقي بعجوز شمطاء ترهب الطيران وتخاف منه حتى الموت».

ومد يده ليصافحها قائلاً:

«اسمي غرادي طومسون، انا طيارك».

اجابت ليا وهو يضغط على يدها:

«كيف حالك يا سيد طومسون؟».

والتمعت عينا الطيار اصراراً وهو يقول:

«نادني غرادي».

بدا مربوع القامة، مكتنز الجسم، تدلى كرشه ببروز عند جلوسه على الاريكة بجانبها. ورغم انه قارب الخمسين من عمره، كان بمثابة والدها، الا انه لم يمتنع عن مغازلتها. ومع ذلك لم تشعر ليا بكراهية او اشمئزاز من تبسطه ومرحه:

فابتسمت له:

«حسناً يا غرادي».

وانعكست اشعة الشمس الذهبية المناسبة عبر النوافذ على شعرها الكستنائي.

وتأمل الخطوط الذهبية برهة. ثم حدق الى شكلها الكلاسيكي، الذي برزت ملامحه حين نظرت اليه. ولم يفته اي من تكاوينها: ثنية حاجبها المعقود، والاشراقة الرائعة في عينيها البندقيتين، ونضارة بشرتها. فقد بدت جذابة عموماً.

ثم مال الطيار برأسه قائلاً:

«اذا كنت تنادينني غرادي، فلا يمكنني ان اناديك الآنسة تالبوت».

فأجابت على سؤاله الضمني:

«اسمي ليا».

«قولي لي يا ليا. هل انت صديقة رايلي؟».

فعقدت جبينها لحظة لتتأكد من صحة افتراضها:

«رابلي هو السيد سميث؟».

فقهقه غرادي بينه وبين نفسه:

«واضح انك لا تعرفينه. ولكن، اذا لم تكوني احدى صديقات رابلي، فما الذي يقودك الى وسط مجاهل نيفادا؟».

علقت ليا ساخرة:

«انا ذاهبة لزيارة اخي شريطة ان يحضر صديقك العزيز السيد سميث».

«ليس رابلي ملكاً لأحد».

واثارت نبرة صوته الجافة فضول ليا، التي حاولت استجداء معلومات اضافية عن رفيقها المتأخر الذي تكتنفه الاسرار:

«يبدو انك تعرفه جيداً».

تنفس الطيار طويلاً، ثم اتكأ على مسند الاريكة الخلفي:

«القصة، في رأيي، على النقيض من ذلك. فأنا اشك اذا كان هناك احد يعرف رابلي «حق المعرفة». فهو عالم قائم بذاته، ورجل فريد بين بني جنسه، وذئب متفرد بنفسه. ولعل اصله الهندي من جهة احد والديه يفسر ذلك».

وهمست ليا:

«آه. الآن افهم سبب زيارته لاوستن».

واتى رد الطيار:

«انها اسباب تتعلق بالعمل. فلرابلي ارتباطات مع بعض شركات التعدين في اوستن وتونوبا، وغالباً ما اطير به الى احدى هاتين المدينتين».

وفكرت ليا بسرعة اذا كان رابلي سميث هذا يعمل لحساب الشركة نفسها التي يعمل فيها شقيقها لوني. وبدا لها انه من المحتمل جداً ان يكون يعمل مع بعض منافسيها. ومهما يكن الأمر، فإن ليا حاولت تفسير ذلك بنفسها. والشيء الوحيد الذي كان يهمها فعلا هو متى سيصل السيد سميث.

انتقل غرادي بالحديث الى موضوع يهمه:

«هل تعيشين هنا في لاس فيغاس؟».

قالت ليا:

«اجل».

وقبل ان تسمع السؤال التقليدي، اضافت:

«اعمل سكرتيرة لاحد المديرين التنفيذيين في مصرف محلي».

وتمنت ان لا يضيف غرادي العبارة التقليدية القائلة بأن ليا تصلح لان تكون احدى العارضات في كازينوهات لاس فيغاس الشهيرة.

«وهل يعيش شقيقك في اوستن؟».

«مؤقتاً».

ومضت ليا تشرح وظيفته الحالية في اوستن.

«هل رأيته من زمن بعيد؟».

«كلا. لقد كنا معاً في عيد الميلاد، وانا اريد ان افاجئه اليوم بعيد ميلاده».

فقال غرادي:

«لا شك انك تقدرينه كثيراً حتى تتحملي كل هذه المشقات والنفقات من اجله».

فوافقت ليا:

«علاقتي بلوني حميمة جداً».

ولم تتكلم عن طفولتها الحافلة بالاسفار من طرف العالم الى طرفه الآخر مما يخلق ظروفاً تحتم نشوء علاقة حميمة ووثيقة بينها وبين لوني. وعلى رغم السنين الخمس التي فصلت بين ولادة كل منهما، فقد كانا اشبه بتوأمين.

ثم داعبها الطيار متسائلاً:

«وماذا يقول صديقك في هذا الأمر؟ ارجو ان لا تقولي لي ان ليس لفتاة مثلك صديق واحد على الأقل».

اجابت ليا وهي تضحك ساخرة من نفسها، فيما تذكرت رد فعل

مارفن:

«لنقل انه يشك في رجاحة عقلي».

ومارفن يعمل في دائرة المحاسبة التابعة للمصرف الذي تعمل فيه ليا. ولم يكن رأيها بطبيعة علاقتها قد استقر بعد، رغم انها قبلت وصف مارفن وتصنيفه على انه صديقها.

الحقيقة انها لم تلق تشجيعاً للقيام بالرحلة من قبل اي من زملائها، او حتى من نانسي شريكتها في الشقة. وادعى الجميع انهم يفهمون رغبتها في رؤية اخيها، غير ان احداً منهم لم يبد مقتنعاً بأن من الحكمة انفاق كل مدخراتها من اجل هذا الهدف.

وبديهي انهم لم يحسوا برباط القربى الوثيق بينهم وبين اشقائهم او شقيقاتهم. ومن المرجح انهم لم يكونوا ليشكوا في سلامة رأيها فيما لو انفقت هذا المال لمقابلة صديق شاب. اما زيارة اخ، فانها فكرة ترسم بسمة ساخرة على شفتيها.

وقال غرادي وهو يحدق الى ملامحها باعجاب:

«لا شك ان صديقك غاضب لانك لم تقضي معه عطلة نهاية الاسبوع. ولو كنت مكانه لغضبت».

القت ليا نظرة سريعة على ساعة الحائط، ثم تنهدت:

«بدأت اشعر انني لن اذهب الى اي مكان في عطلة الاسبوع هذه».

ومدت يدها الى حقيبتها، فاخرجت علبة تبغ مفتوحة. وسحبت منها سيكارة ذات «فلتر». وبينما هي تبحث عن ولاعتها، انطلق الشرار من عود ثقاب في يد غرادي. فابتسمت شاكرة، ووضعت السيكارة على شفتيها الدراقيتي اللون. وحنت رأسها باتجاه اللهب.

طمأنها الطيار:

«لا تخافي. سيحضر رابلي. ولو كان يشك بامكان سفره لابلغنا ذلك في مخابرته الأولى. ولكن، لماذا لا تضعين امتعتك في مخزن الطائرة في هذه الاثناء؟».

وافقت ليا:

«حسناً: سأكون بذلك قد خطوت خطوة اخرى باتجاه الاقلاع».

فربت غرادي على ركبتها:

«لا تيأسي. اننا سنقلع».

ثم حمل حقيبة ملابسها وحقيبة ادوات زينتها. وانطلق نحو الباب الذي يقود الى حظيرة الطائرات. وهكذا عادت الدقائق تمر ببطء.

علا دخان سيكارتها فوق رأسها بشكل لولبي. فسحبت قليلاً من سيكارتها قبل ان تطلق دخاناً كثيفاً بعصبية مما جعل سحابة سوداء من الدخان تلفها.

فتح الباب الخارجي. فنظرت الى مصدر الصوت بلامبالاة وقد توقعت رجوع الطيار. غير ان شخصاً غريباً دخل منه.

وكانت قد رسمت في ذهنها صورة عن رابلي سميث. رجل في اواخر العقد الخامس من العمر، مكتنز الجسم، قصير القامة. وبنت افتراضها هذا على الرأي القائل بأن عضواً بارزاً في شركة تعدين يقدر ان يستأجر طائرة. ولا بد ان يكون متقدماً في العمر او كهلاً حتى يشغل منصباً رفيعاً.

لم تنطبق مواصفاتها هذه على هذا الرجل الفارع الطول والنحيل القامة، فهو لم يتجاوز اواسط العقد الرابع من العمر. وقد ملأ الشعر الفاحم ملامح وجهه البرونزي وقسماته الدقيقة. ولوحت الريح والشمس قسماته.

اما ملابسه، فكانت عبارة عن بزة عادية من قماش الجينز البني، وقميص ذات خطوط بنية وصفراء فتحت عند العنق لتظهر قطعة من الفيروز المعلقة بسلسلة من الفضة المطروقة.

وعلى رغم تباين صفات هذا الرجل الحقيقية وصورته في ذهن ليا، فقد بدت واثقة من انه رابلي سميث. واعترفت بذلك مظاهر كبريائه وشجاعته وتحفظه وانعزاله وخطوته العريضة.

واكدت ماري، وهي موظفة الاستقبال، صحة استنتاج ليا.

«واخيراً وصلت يا سيد سميث. كادت الآنسة تالبوت تظن انك من صنع خيالها».

عندئذ لاحظ وجود ليا في الغرفة للمرة الأولى. وبدت عيناه خضراوين على نحو يستحيل معه قراءتها.

وارتعشت ليا عندما فطنت الى ان عينيه قدرت محاسنها برهة، ثم تخلت عنها للتركيز على عمله.

ثم نطق جملة لم يقصد بها التوضيح او الاعتذار:

«انشغلت. وقد تركت حقائبي في الخارج. فهل انت مستعدة للانطلاق يا آنسة تالبوت؟».

واستغربت ليا وقاحته في السؤال عن مدى استعدادها للانطلاق بعد ان انتظرت ثلاث ساعات. وسحقت عقب سيكارتها في المنفضة بعصبية وهي تكبح رغبتها الجامحة في تذكيره بانه هو الذي تأخر. وردت ببرودة:

«ان امتعتي في الطائرة يا سيد سميث».

اغلقت حقيبتها بعصبية محدثة صوتاً عالياً. وانتصبت واقفة. ولما خرجت من المبنى، شدت نسمة من ريح الصحراء هدب تنورتها البيج لتكشف عن قدمين حسنتي التنسيق. فامسكت ليا الجزء الامامي المفتوح من عباءتها بيد فيما حاولت بيدها الاخرى منع الهواء من رفع تنورتها مرة اخرى.

وأحدث حذاؤها ضجيجاً اثناء سيرها على الأرض المرصوفة بالاسمنت. فيما لم يحدث الرجل السائر بجانبها اي صوت على الاطلاق. ونتيجة نظرة جانبية لاحظت ان كعبيها العاليين لم يزيداها طولاً اذ لامست ذروة رأسها ذقنه.

والتفتت بسرعة الى اليد اليسرى التي حمل بها حقائبه، فلم تلاحظ وجود محبس في اصبعه. لعلها توقعت ذلك بسبب قول غرادي ان رابلي سميث ذئب متفرد بنفسه.

ورفعت نظرها محدقة الى الامام، وهي تفكر بأن هناك فتيات

كثيرات يتمنين الاقتران برابلي. فهو شاب انيق للغاية. ولم يكن ذلك ليعني لها شيئاً لأنها كانت تقصد زيارة شقيقها.

وقف غرادي على بعد بضعة امتار منهما بجانب جناح طائرة من طراز «سيسنا ٣١٠» مطلية باللونين البرتقالي والأبيض. وبدت الطائرة ذات المحركين قوية وسريعة. وعلت وجه الطيار ابتسامة رقيقة عندما ابصر المسافرين يقتربان منه. وسأل ليا بلطف:

«الم اقل لك انه سيحضر، يا ليا؟».

ثم قال للرجل الواقف بجانبها:

«مرحبا يا رابلي».

اجاب رابلي بلهجة حارة ولطيفة تختلف عن تلك التي تحدث بها الى ليا:

«مرحبا يا غرادي».

وبعد تبادل التحيات، تصافح الرجلان بحرارة.

ثم مد غرادي يده الى الحقائب التي حملها رابلي في يده اليسرى:

«دعني اضع امتعتك في المخزن».

ناوله رابلي سميث الحقيبة الكبرى بينما استبقى حقيبة اوراقه قائلاً:

«ساحمل هذه الحقيبة معي في الطائرة».

ثم نظر الى السماء التي اتشحت بوشاح ارجواني داكن. فرأى نجماً واحداً يتلألأ في ضوء الغسق البنفسجي. وسأل:

«كيف هي حال الجو يا غرادي؟».

تفرس الطيار بالسماء قليلاً ثم التفت الى المسافرين، وقال:

«ارى ان هناك عاصفة وشيكة. ولكن لدينا الوقت الكافي لبلوغ اوستن قبل هبوبها. واذا هبت قبل ذلك، فإن الحال ستسوء. لكننا سنصل في اي حال».

واشار غرادي بيده الى باب الطائرة:

«تفضلا بالصعود».

وفيما وجدت ليا، وهي تلبس التنورة، صعود الجناح سهلاً بسبب السلم ذي الدرجتين الصغيرتين، وجدت الانتقال من المقاعد الامامية الى المقاعد الخلفية اكثر ازعاجاً من الصعود. اما رايلي، ففعل كل ذلك بسهولة بالغة جعلتها تحسده.

وجلس في المقعد المجاور لمقعدها. وكانت ليا قد توقعت ان يجلس في المقعد الأمامي بجانب غرادي نظراً الى ما يشدهما من صداقة. وبينما ربطت حزام الأمان حولها، لاحظت حقيبة الاوراق التي احضرها، ورجحت انه ينوي العمل.

وصعد غرادي الطائرة برشاقة ورمى بنفسه على مقعد الطيار امام ليا مباشرة. ثم نظر الى المسافرين بسرعة قبل ان يشد حزام الأمان حوله.

وفيما اجرى فحصه الأخير للطائرة، طرح عليهما سؤالاً:

«هل تعارفتما؟».

اجابت ليا:

«اجل».

وبينما بدأ محرك الطائرة الأول يهدر، دارت المروحة بسرعة بعد تردد. ثم علق الطيار: «انها مسافرة الى اوستن لزيارة شقيقها».

القت ليا نظرة جانبية على رفيقها، وهي تقول في ما بدا فرصة ذهبية لمعرفة ما اذا كان رايلي سميث يعمل في الشركة نفسها او في شركة منافسة:

«اخي يعمل لمصلحة شركة تعدين. وهو عضو في فريق يعمل على مسح منطقة اوستن. وقد اشار غرادي الى علاقتك ببعض شركات التعدين. ولعلك تعرف شقيقي. اسمه لوني تالبوت».

لم تتمكن ليا من النفاذ الى عينيه الخضراوين اللتين التقتا بعينيها. ولكنها لمحت ابتسامة مرتسمة على شفتيه.

«لا».

وحال زئير المحرك دون الاستمرار في الحديث. واجبرت ليا على

نبذ فضولها بعض الوقت. وشعرت بالأمن نتيجة الظن بأن رايلي سميث لم يعمل لمصلحة الشركة نفسها التي يعمل فيها شقيقها.

اما غرادي فتحدث بالراديو:

«م. س. كاران برج المراقبة الأرضي. هذا هو «جورج ٩٢» يطلب معلومات للاقلاع».

رقصت ليا فرحاً وحماسة. فهي ستقلع بعد انتظار طويل. ونظرت من النافذة وهي تبتسم بينما كانت تفكر برد فعل لوني عندما يعلم انها تكلفت عناء السفر لحضور عيد ميلاده.

لمعت اضواء زرقاء خارج نافذتها فيما درجت الطائرة حول ممر السيارات في طريقها الى مدرج المطار. وعند بلوغ حافة المدرج، اصبح هدير المحركين اشبه بقصف الرعد. واستعد غرادي للانطلاق. عندئذ تلقى اذن البرج بالاقلاع.

وتطلع غرادي الى الوراء قليلا وقد ارتسمت على وجهه الجاد ابتسامة مرح:

«سوف نرتفع بهذا الطائر عن الأرض».

دارت الطائرة حول نفسها بسهولة وهي تتجه نحو المدرج فيما ازدادت سرعة المحركات. واحست ليا بتعاظم السرعة فيما حلت الفرامل وفتحت دواسة البنزين. وارتفع مقدم الطائرة عن الارض. وبعد ثوان قليلة ارتفعت الطائرة وصعدت طبقات الجو وقد نبض جهاز الهبوط في اسفلها.

وشاهدت ليا عبر نافذتها وهج اضواء المدينة وهي تختلط بخيوط الليل الأولى. وبدت اضواء النيون الساطعة في فنادق وكازينوهات منطقة «لاس فيغاس» الشهيرة اشبه بشريط براق متلألىء بالوانه الزاهية.

وحذر غرادي ليا، التي استقرت في شبه وقفة، تحاول عبور الممر الضيق المؤدي الى المقاعد الأمامية:

«لا تصطدمي بأي من اجهزة التحكم».

www.rewity.com/vb

ثم امسكت بكوعها يد مساعدة ادركت ببعض الدهشة انها يد رابلي سميث. وكانت لمسته قوية مطمئنة وخاطفة.

وتجنبت الاصطدام باجهزة التحكم في ارض الطائرة. ثم جلست على المقعد الأمامي الأيمن بعد ان مدت تنورتها فوق ركبتيها. لقد غيرت مقعدها من دون حدوث مشكلة على رغم ضيق المسافة.

قالت وهي تنظر فوق كتفها الى اليد الثابتة:

«اشكرك. وآمل يا سيد سميث ان لا نزعجك انا وغرادي بحديثنا».

«في الحقيقة افكر ان اترك العمل بعض الوقت، وأنام قليلاً».

واتبع جملته بغلق حقيبة اوراقه.

ولما اطفأ مصباح القراءة، تمنت ليا لو انها لم تنتقل من مقعدها لأنها رغبت في اشباع فضولها بالتعرف الى رابلي سميث.

هز غرادي رأسه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة:

«انه مدهش».

ردت ليا باستغراب:

«ما هو المدهش؟».

قال الطيار وهو يهز رأسه الى خلف ويشير الى الرجل النائم وراء ليا:

«هو».

تنبهت ليا الى ان بامكان رابلي سميث ان يسمع حديث الطيار. فنظرت فوق كتفها لترى ردة فعله على كلامه. فوجدته مستلقياً في مقعده وقد اغمض عينيه واخذ صدره يتحرك بانتظام.

وتنهد غرادي:

«انه نائم. لقد اغمض عينيه دون ان يحرك رأسه او جسده».

وافقت ليا وهي تستقر في مقعدها:

«انه لطيف».

ثم نظرت الى لوحة الأجهزة المضاءة بالاشعة تحت الحمراء،

وسألت:

«هل الطائرة تطير بدون طيار الآن؟».

غير ان ليا لاحظت طريقة غرادي الآلية في فحص الاجهزة وهو يجيب:

«اجل. هل اتيحت لك الفرصة للجلوس في مقعد امامي في طائرة خاصة من قبل؟».

قالت:

«اصطحبني والدي غير مرة في الطائرة. لكني لم ار طائرة متقدمة مثل هذه».

وابتسم غرادي لها:

«انها مجاملة من علم الطيران الحديث في عصر الكومبيوتر. وهذه الطائرة تفعل كل شيء آلياً ما عدا عملية الهبوط. لكني اكاد اقول انها تفعل ذلك بنفسها تقريباً. انها رائعة. غير ان كل الآلات مآلها الى الفناء. ولكن، لنترك حديث الطيران لانني اسمعه طوال النهار. فأنا اظن ان باستطاعتك ان تخبريني شيئاً عن طفولتك خصوصاً. وانك ما زلت شابة وان الرحلة طويلة».

ضحكت ليا ضحكة عذبة:

«لن تأخذني القصة طويلاً. فقد عشنا انا وشقيقي مثل اولاد سائر الطيارين العاملين في السلاح الجوي».

ثم اضافت. صورة مختصرة لحياتها اثناء الطفولة وهي تتنقل من قاعدة جوية الى اخرى.

«ولكن، بحق السماء قولي لي كيف بلغ بك المطاف الى لاس فيغاس؟».

«لقد تم ذلك بالطرق العادية. اذ نقل والدي الى قاعدة نيليس التابعة للسلاح الجوي عندما كنت في الصفوف الثانوية. ولما تخرجت وبدأت دورة في علوم السكريتارية، صدر اليه امر بالتوجه الى الاسكا. واردت انهاء تدريبي. ولذلك بقيت في لاس فيغاس،

خصوصاً ان الوقت حان لأعيش مستقلة».

قال غرادي ساخراً:

«هل اغرتك الأضواء الساطعة؟».

ردت باصرار:

«لا ابداً فأنا سعيدة لكوني سكرتيرة، ولست ارغب في ان اكون عارضة من اي نوع. فعملي شاق وساعات الدوام مليئة بالجهود».

وافق غرادي:

«هذا صحيح. هل انت مثل سائر سكان لاس فيغاس لا تدخلين الكازينوهات الا في ما ندر وذلك لحضور مناسبة هناك؟».

قالت:

«بالضبط».

ثم اضافت:

«انا لا ازور الكازينوهات الا عند افتتاح عرض جديد، او ظهور نجم احبه. ولكنني في الأجمال اترك منتديات القمار للسيّاح والمقامرين».

ثم توقف غرادي ليرمقها بنظرة فاحصة:

«اخبريني. هل قلت انك كنت في جنوب المحيط الهندي بعض الوقت؟».

«نعم».

«اذكر انني زرت هذه الأمكنة عندما كنت في الخدمة. غير انني لن اقول لك متى كان ذلك».

وصب عليها سيلاً من الاسئلة محاولاً اختبار ذاكرتها ليرى اذا كانت زارت امكنة قام بزيارتها هو بنفسه. وقارن وصفها لتلك الأماكن بما علق بذاكرته.

ثم خيم الصمت. ونظرت ليا الى السماء المرصعة بالنجوم الى شرق نافذتها. وشعرت بارتياح بالغ.

همس غرادي:

«اذا كنت تشعرين برغبة في النوم، يمكنك الرجوع الى مقعدك الخلفي. فهناك يمكنك ان تمدي رجليك دون الخوف من الاصطدام بأي من اجهزة التحكم».

ووافقت متنهدة:

«اظن انني سأفعل ذلك».

ومع ان ليا حاذرت ايقاظ رايلي النائم، فإن عبور الممر الضيق كان اسهل عليها هذه المرة. ولما استوت في مقعدها، لاحظت سواد السماء امام عينيها. وسألت غرادي بهدوء:

«اليست السماء في غاية الظلمة امامنا؟».

«لا شك ان هذا دليل على العاصفة. والمهم ان اراجع دائرة الرصد الجوي للاطلاع على نشرة جديدة عن حالة الطقس».

اتصل بالدائرة بينما ربطت ليا حزام الأمان. لم تسمع ليا البرقية الجوابية بوضوح، غير ان غرادي نقل اليها مضمونها.

«سنطير مع العاصفة حتى تبلغ اوستن. والأفضل ان تشدي حزام الأمان حولك بقوة لأن الاحوال ستسوء قليلاً».

ثم نظر الى الوراء باتجاه الرجل النائم وصاح:

«رايلي».

اجاب رايلي بهدوء:

«سمعت البرقية».

وتمدد رايلي بحزم وهدوء فيما شد حزام الأمان حوله.

فتحدثت ليا اليه من دون تفكير:

«لقد ظننتك نائماً».

«اجل».

لكنها لم تلحظ اي اثر للنوم في صوته. فقدرت بأنه استيقظ بالسرعة نفسها التي عاد بها الى النوم.

٢- وحيدان في الليل

اشتدّت حلكة السواد حول الطائرة الصغيرة ذات المحركين التوأمين. واضيئت السماء بخطوط البرق. وتعاقبت تيارات هوائية عنيفة متعارضة على جذب الطائرة الى الوراء ودفعها الى الامام.

ومع كل وثبة وثبتها الطائرة، وارتجفت لها قلوب المسافرين، تراجع غرادي الى الوراء ليتجنب زيادة الضغط على هيكل الطائرة. وتفاقمت شدة الصدمات.

ومن دون ان يرفع غرادي عينيه عن آلات القياس ولوحات الاجهزة المتراقصة امامه مع انتفاضات الطائرة، نادى رابلي طالباً منه الانحناء الى الامام. فحلّ المسافر ذو الشعر الاسود حزام مقعده قليلاً، وانحنى صوب الطيّار الذي قال:

«ستزداد الاحوال سوءاً. ولكنني سأجرب التحليق حول دائرة العاصفة هل هذا معقول؟».

«حسناً».

لم يبد على رابلي اي اضطراب او خشية من حالة الطقس.

اما ليا، فعلى رغم ثقتها بجدارة طيارهما وكفاءته ولياقة طائرتهما، وجدت نفسها ترتجف خوفاً وهلعاً. وبررت شعورها بالخوف بالرأي القائل ان المجنون وحده لا يخاف او يفزع.

حبست ليا انفاسها عندما امال غرادي الطائرة جانبياً الى الشرق محاولا ان يسبق العاصفة ويدور حولها. ثم رمقت الرجل الجالس قربها بنظرة طويلة جعلتها تقتنع بان وراء وجهه الخالي من اي تعبير اعصاباً فولاذية.

وشدّ تيّار هوائي الطائرة نزولا. وما ان افلتت من قبضته حتى كادت ليا تتقيأ. اما السواد المحيط بهم، فلم يتبدد الا بفعل ألسنة

البرق النارية التي اخترقت الاجواء من حولهم. وظلّت الطائرة في اندفاعها وسط المعمعة.

وصاح غرادي:

«لا استطيع اختراق هذه العاصفة، ولذا ساهبط بضعة آلاف من الاقدام لارى اذا كانت طبقات الجو هناك اهدأ».

لم يكن هناك حاجة للتعليق. فقد شعرت ليا ان ليس بامكانها ان تتفوه بكلمة لشدة جفاف حلقها وفمها. وقد شعرت عند نزول الطائرة انهم يغوصون في لجة البحر، الا انها ادركت ان غرادي يتحكم بعملية الهبوط. وراقبت ليا عبر زجاج النافذة المصقول كالمرآة الطيار وهو يبسط اجنحة الطائرة. ولمع البرق امامهم مضيئاً بانواره الصفراء والبيضاء السماء بضع ثوان.

وفي الوقت الذي سمعت فيه ليا غرادي يصيح: «يا الهي»، رأت كتلة سوداء سميكة ترتفع امام مقدم الطائرة.

وما كادت تلاحظ ان ما رأته كان جبلا، حتى انقلبت الى جنبها لان غرادي حرف الطائرة بحدة الى اليمين.

واظهر وميض البرق مزيداً من الجبال في طريقهم.

وقال غرادي بحنق وهو يميل الطائرة بحدة:

«لا يفترض وجود جبال على هذا الارتفاع. لا شك ان مقياس العلو...».

لم يكمل جملته، لان وميض البرق كشف له طريقاً للخلاص فوق تلة محدودبة تصل بين قمتين شاهقتين. ووجه غرادي مقدم الطائرة الى حيث ظن ان التلة تقوم. وتجمدت ليا كالجليد وهي تنتظر ومضة البرق التالية لتكشف لها صحة اتجاهه.

وتأخر البرق اذ وجدوا انفسهم قرب الجبل عندما اضاء الوميض السماء وكشف ان غرادي اخطأ هدفه. وتحتم ان تصطدم الطائرة بجرف الجبل.

وسرعان ما حاول غرادي اصلاح خطأه وصاحت ليا في سرها

خائفة:
«آه يا لوني».
اطبقت اصابع آدمية على عنقها بقوة وكأنها خطاف. وشدت رأسها الى ركبتيها حيث دفنته.
وبدد خوفها امر رابلي:
«ابقي رأسك هنا».
ارتجت الطائرة بعنف اذ اصطدم طرف جناحها الايمن بحرف الجبل فانشطر.
وسقطت الطائرة فيما هتف غرادي بصوت خفيض:
«ارتفعي يا عزيزتي».
وارتطم اسفل الطائرة بالارض الصلبة. ثم اندفعت مسافة اقدام قليلة على الارض حيث ارتطم جناحها الايمن ثانية بجسم صلب ثابت. وراحت الطائرة تدور حول نفسها.
لف صرير المعدن ليا من كل الجهات الى ما لا نهاية. وتساءلت لماذا حدث كل ذلك ببطء شديد. وتكسر الزجاج فوق رأسها. ثم سمعت مزيداً من المعدن يتحطم عند جنبها الايسر.
شعرت ليا بالم خفيف فيما غشي عينيها السواد. ومع انها لم تفقد كامل وعيها، فانها لم تنتبه الى ما جرى حولها اذ اصم الهدير اذنيها عن كل الاصوات المحيطة بها.
وأخذ الضباب الاسود بالانحسار. واحست خطافاً حديدياً يشدها الى فوق. وما هي الا لحظة حتى انتبهت ان ذلك لم يكن سوى ذراع قوية.
وسمعت صوتاً قوياً ثابتاً وكأنه يأتي من مسافة بعيدة:
«انهضي فعلينا ان نخرج من هنا».
ادركت ليا ان عليها ان تطيع الامر. وهزت رأسها لتطرد منه الدوار. وطوقت الذراع وسطها لتساعد رجليها المرتجفتين على السير.

وفجأة ادركت وهي تتنفس بصعوبة انها ما زالت حية، وان الذراع التي ساعدتها على الانزلاق من باب الطائرة المفتوح جزئياً هي ذراع رابلي سميث. وفيما انسلت من شق الباب الضيق وهي تتعثر بالمقاعد، استغربت لماذا لم يحاول رابلي توسيع فتحة الباب.
وادركت السبب عندما لامست قدماها الارض المغطاة بالحجارة الصغيرة. فقد توقفت الطائرة طولياً بجانب جدار الجبل مما حال دون توسيع فتحة الباب.
وما ان خرجت حتى احست بالريح تعصف بشعرها والمطر ينهمر على وجنتيها والرعد يقصف في السماء. وارادت ان تتكىء على الطائرة وتبكي بصمت تعبيراً عن فرحها وامتنانها لبقائها حيّة. لكن الذراع التي احاطت بخصرها منعتها من ذلك.
وقال رابلي بحزم:
«لا يمكننا ان نقف هنا».
لم تعترض على ارشاداته لانها اقتنعت بصوابها. ومع ان الخدر اخذ يتلاشى من ساقيها، فانها شعرت بصعوبة السير على الارض المنحدرة خصوصاً وان كعبي حذائها كانا مرتفعين.
ولما ابتعدا قليلا عن الطائرة، توقفا في فتحة جبلية صحراوية. وازاح رابلي ذراعه، التي استندت اليها ليا. وضغط بيده على كتفها ليجلسها على الارض.
وقال بلهجة آمرة:
«انتظري هنا فسأعود الى الطائرة. اجلسي والا اصبحت هدفاً سهلا للصواعق».
هزت ليا رأسها، ثم تكلمت:
«سأفعل».
ولما استدار ليتركها، تذكرت:
«اين هو غرادي؟».
ولم يجب منقذها، الذي اندفع منطلقاً في الظلام. وظنت انه ربما لم

يسمعها، او انه عاد لينقذ الطيّار.

وومض البرق ليمكنها من مشاهدة ملامحه المعقدة ومن رؤية هيكل الطائرة المحطم. فارتعدت استغراباً وخوفاً من اعجوبة خلاصهم.

لم يكن بالامكان تسمية الرذاذ المتطاير مع الريح مطراً. الا ان ليا التي انتظرت في العتمة شعرت ان المطر بلّل ملابسها. فشدت عباءتها حولها.

ونتيجة ذلك شعرت بوخز اليم في ذراعها اليسرى. وتحسست بدقة موضع الالم بيدها اليمنى. ووجدت ان كم بلوزتها كان رطباً ولزجاً ودافئاً. ولمست اصابعها الجرح في ذراعها. غير انها لم تتذكر انها اصيبت. وقبضت يدها على الجرح غريزياً بقصد ايقاف سيلان الدم. ولم تتمكن ان تتأكد من عمق الجرح في هذه الظلمة. وما ان اكتشفت مكانه حتى بدأ الجرح ينبض. واحست ليا فجأة بالبرودة والوحدة.

وحملقت محاولة اختراق ستار الليل الاسود لتلمح الرجل الذي قادها الى هنا. لكنها لم تستطع ان ترى سوى وميض الدهان الابيض على هيكل الطائرة.

لمع البرق ودوى الرعد على الفور. وتذكرت ليا انها وعدت ان تنتظر رابلي سميث، غير انها قررت ان تنكث بعهدها ان هو لم يعد سريعاً.

انبعثت من الطائرة هالة ضوء مخيفة غمرت الارض الصحراوية ذات الاشجار الخفيضة، ومرت بضع لحظات يقف فيها شعر البدن، وذلك قبل ان تكتشف ليا ان مصدر النور كان مصباحاً وانسلت من حلقها ضحكة ممزوجة بالتنهد.

واستطاعت ان ترى الرجل الطويل وهو يحمل جسماً على كتفيه، لعله غرادي، فحبست انفاسها بانتظار وصول الرجل اليها.

وحمت ليا عينيها اللتين عميتا من وهج النور المنصب عليهما في

الظلمة. وابتعد الضوء عنها عندما ركع الرجل قربها وهو يرمي عن كتفه الحمل الثقيل. وحدقت الى الحزمة المؤلفة من معطف شدت اكمامه ليحمل في داخله بعض الامتعة المتفرقة.

وفيما جحظت عيناها مخترقة وجه الرجل الخالي من التعبير، واستعدت ذهنياً لتلقّي جوابه، سألت:

«اين هو غرادي؟».

اجاب وهو يُعمل اصابعه برشاقة ليحل اكمام المعطف:

«مات».

فهمست بحزن:

«كلا».

اقتنعت بصحة قوله. فليس الموت امراً للمزاح. وحاولت ان تخفي الرعشة في صوتها حين قالت:

«هل تركته في الطائرة؟».

بدت ملامحه كالقناع وعيناه الخضراوان خاليتين من اي مسحة حزن عندما قال:

«نعم. والآن دعيني ارى ماذا يمكنني ان افعل لجرحك».

لمست ليا جرحها النابض بالالم بلا مبالاة. وظنت ان من الخطأ ترك غرادي تحت انقاض المعدن. ولم تقبل بسهولة حقيقة وفاة هذا الرجل الحار والمليء بالحيوية.

«يجب ان تحملي المصباح».

لم ترد ليا على كلمات رابلي، فعبس وقطّب جبينه:

«حسبك هذا».

قالت ليا مشدوهة:

«ما . . . ماذا؟».

ردد كلامه باقتضاب:

«قلت ان عليك ان تحملي المصباح حتى اتمكن من معاينة ذراعك».

www.rewity.com/vb

ودمعت عيناها وهما تطرفان فيما امسكت المصباح المبتل والبارد باصابعها. وركزت شعاعه على جرحها. واستطاعت ان ترى خارج دائرة الضوء رايلي سميث يستلّ سكينه من جيبه ويرفع نصلها:

«سوف اكمل قص الكم».

وما كاد ينهي عبارته، حتى شق نصل السكين موضع درز الكم. وبسرعة اصبح الكم في يده.

واستعمل بقية الكمّ ليمسح الدم بانتباه حتى يتمكن من رؤية عمق الجرح. ولم يكن الجرح المثلم منظراً ساراً. فابعدت ليا نظرها عنه. وشعرت برايلي يبحث في الجرح عن اي شظية زجاج او معدن. واحست به ينبض وكأن ناراً اشتعلت فيه.

ثم استدار ليفتح الغطاء المعدني عن الصندوق الكبير المليء بمعدات الاسعافات الاولية الذي وضعه بجانبه. واخرج قنينة مليئة بسائل مطهر. ثم رد الغطاء مكانه قبل ان يُفسد المطر اياً من المحتويات. وتلألأت حبيبات الماء كالماس في شعره الفاحم السواد. وحذرها:

«سيوجعك هذا قليلاً».

على رغم تأهب ليا للعملية، فانها لم تستطع منع نفسها من اطلاق صيحة الم مختنقة خصوصاً عندما ارتجفت ذراعها متجنبة السائل الناري.

«اهدأي».

فصرخت في وجهه:

«انه يؤلمني».

غير ان رايلي سميث تجاهل ذلك، وقال:

«امسكي الضوء جيداً حتى ارى ما افعل».

وشعرت ليا انه قاس وغير حساس، اذ كان بامكانه ان يقول لها انه آسف لما يصيبها من الالم، ولكن ليس باستطاعته ان يساعدها بغير هذه الطريقة.

وصرفت على اسنانها وهي تركز الضوء على ذراعها ثانية. ولم تصرخ في هذه المرة وهو يصب السائل المطهر على جرحها على رغم ترنّح المصباح قليلا. ثم ضمّد الجرح بفاعلية ورشاقة.

قالت ليا وهي تشعر ان الالم بدأ يخفّ قليلا:

«اشكرك».

اجابها وقد ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه:

«لا شكر على واجب».

ثم تناول المصباح من يدها ووضعه على الارض. فشع نوره حتى غرقت بضوئه البقعة الخالية من الاشجار حيث اقاما. وفرد المعطف على الارض. ثم ادخل مسدساً تحت حزام سرواله البني وشد بزته ليمنع المطر من التسرب اليه. ووضع جانباً قنينة ماء وعلبة صغيرة، ومربعاً من مادة مطوية حمراء اللون. ثم وقف ينفض المعطف. وقدمه الى ليا قائلا:

«هذا سيمنع المطر عنك».

ارخت ذراعيها اللتين استقرتا على خصرها قليلا وهي تشعر بدفء الرطوبة في ملابسها المبللة. وقالت:

«ارجو ان الفت انتباهك الى انني قد تبللت».

القى عليها معطف رجل. ثم شد ياقته حول عنقها:

«لا اريد ان يبلل المطر الضمادة. وكما تعرفين، فان هواء الصحراء والجبل يبرد في الليل، سواء كان ذلك في الربيع او في اي فصل من السنة. واذا لم يحمك هذا المعطف من المطر، فانه سيقيك البرد على الاقل».

الواقع ان ليا ارادت بعض الملابس الجافة. لكنها ادركت انها ستبتل هي الاخرى. وبحذر شديد ادخلت ذراعها المصابة في احد الاكمام وادخلت ذراعها الاخرى في الكم الآخر بانتباه. ثم زررت المعطف.

ولما ارتاحت في المعطف الواسع، سألت من دون تفكير:

«معطف من هذا؟».

«انه معطف غرادي».

فشحب وجه ليا. وفجأة لم تشعر بالراحة نفسها، فأخذت تفك ازرار المعطف. وهمست بحنق:

«بامكانك ان ترتديه انت».

اجابها بصوت ثابت فيما دقق النظر الى وجهها:

«كلا! فانه في اي حال لن يعترض يا آنسة تالبوت».

ثارت حميتها لدى سماعها عبارته الوقحة وصاحت:

«كيف يمكنك ان تكون عديم الاحساس والشعور هكذا؟».

رد رايلي سميث بهدوء:

«انها الحقيقة مهما كانت قاسية».

وانتقلت اليه عدوى غضبها من دون ان تؤثر على رباطة جأشه حين قال:

«لا يمكننا ان نفعل اي شيء من اجل غرادي. همنا الاول محصور في انفسنا. فعلينا ان نستعمل كل ما نجده لنتمكن من البقاء على قيد الحياة هذه الليلة».

كبح منطقه الصائب انفعالها. فعادت تزرر المعطف ثانية وهي تصرخ بقليل من التمرد:

«بامكانك ان تشعل ناراً لتدفئنا وتجفف ملابسنا».

قال بجفاء وهو يذكرها:

«ان السماء تمطر».

ثم رفعت شعرها الكستنائي عن جبهتها وهي تقول بعصبية:

«حسناً. ليس هذا صعباً عليك لانك هندي في بعض اصلك».

ورمقته بنظرة فاحصة وهي تعضّ باسنانها على شفتها السفلى ندماً. لقد كان قولها جارحاً ينمّ عن تعصب. ولم تقصد ان يفهمه على هذه الطريقة ابداً، فقد اغاظها برباطة جأشه وجعلها لا تفكر عندما اجابته بهذه الكلمات.

وانحنى ليلتقط المربع الاحمر المطوي، وهو يقول بصوت سمعت فيه رنة تهكم:

«بامكاني ان اشعل ناراً تحت المطر اذا تمكنت من العثور على بعض الحطب الجاف، وبامكاننا ان نؤجج النار بعد بضع ساعات. ولو اننا لم نستسلم للتعب والسخرية، لكان بامكاننا الاستمتاع بها آنذاك».

ونظرت ليا الى الارض وهي تتنفس بعمق لتصعد زفرة بطيئة وهي تعتذر:

«آسفة، فأنا لم افكر اننا لا نستطيع ان نجلس الا تحت المطر. الا نستطيع ان نبيت في الطائرة؟».

كان احد جوانب المربع الاحمر، الذي احدث صليلا عالياً عندما طرحه رايلي ارضاً، يشبه الالومينيوم. اما طلاء ذلك الجانب الفضي، فتلألأ تحت ضوء المصباح. وعلق رايلي:

«سيشكل معدن الطائرة مسرى للبرق مما يجعله خطيراً للغاية. وفي اعالي الجبل بعض بقايا منجم مهجور. يمكن ان يدفعها المطر فتسد الباب مع الصباح. ولا شك اننا سنبرد ونبتل هنا، الا ان الطائرة لن تكون اكثر حرارة. وفي اي حال، فاننا لن نحبس هنا تحت الانقاض».

كان من المفروض ان تستسلم ليا لسداد منطقه مجدداً. الا انها شعرت بالابتلال والبرد المتزايد. وبدأت اسنانها تصطك واخذت ذراعها تيبس فتؤلمها.

ونظرت اليه نظرة مليئة بالتعب وهي تسأله:

«وماذا سنصنع؟».

حان الوقت ليقترح حلاً، اذ كانت افكارها خاطئة.

«قفي».

ثم امسك كوعها بيده ليساعدها على الوقوف. ووقفت ليا وهي تنظر بريبة الى خطوته التالية. وكانت تلتف ببطانية ارتفعت بعض اجزائها فوق رأسها في شكل نصف قبعة.

ابلغها وهو يضع طرف البطانية بين اصابعها:
«امسكي هذا الجانب».
ثم تردد وهو يفحص نظرتها الفضولية:
«يجب ان نلتف بهذه البطانية لتمنع عنا المطر قدر الامكان، ولتدفأ بحرارة اجسامنا».
قالت ليا وهي تردد معنى كلماته:
«هل تقصد ان تقول ان علينا ان ننام جنباً الى جنب؟».
واصابتها رعشة. ثم حاولت ان تمنع اسنانها من الاصطكاك عالياً. ثم اضافت ساخرة:
«هذا هو الحل العملي والمنطقي. اليس كذلك؟».
هز رأسه وقد ارتسمت على وجهه المبتل ابتسامة خفيفة:
«اجل».
ولما كانت مبتلة ومتعبة، شعرت بالبرد الشديد فلم تكترث الى ان والديها لن يعجبهما انها التحفت البطانية نفسها مع رجل غريب.
بادلته الابتسام وهي توافق:
«لنفعل ذلك باقصى سرعة».
ثم امتدت ذراعه الى طيات المعطف الواقي من المطر الغليظة عند خصرها، بينما لف البطانية حوله بقوة. وعندما اعطى الاشارة، تمددا على الارض جنباً الى جنب.
ونام رايلي على ظهره جاذباً رأس ليا وكتفيها فوق صدره وممدداً جسمها بجانبه. تساقطت حبيبات المطر على البطانية ساعية للتسرب اليهما، الا ان المادة الواقية من الماء ابقتهما جافين.
واول الامر لم تحس الا ببرودة جسمه الصلب ورطوبته. ولكن سرعان ما شعرت بدفئه ينساب متدفقاً عبر ثيابه المبللة. فادنت نفسها منه وهي ترتجف. واخذ يفرك ظهرها وكتفيها وخصرها مع الحرص على تجنب الاصطدام بذراعها الجريحة التي كانت تنبض باستمرار وسألها:

«هل تشعرين بالتحسن؟».
وحرّك نفسه الحار الهواء قرب جبهتها.
اجابت وهي تتنفس برضى:
«نعم».
وتنفست نفساً عميقاً برضى وقد تعاظمت في انفها رائحته المسكية نتيجة سقوط المطر.
وظلت يداه تعملان بانتظام وبطء. عادت الحرارة الى جسمها اذ شعرت انها استردت حيويتها ثانية. ولم تعد تفكر بعنائها الجسماني، بل بدأت تهتم بامور اخرى.
وقالت بهدوء:
«لا شك ان فريق عمل سيبدأ بالبحث عنا صباحاً، اليس كذلك؟».
«بلى!».
«كم سيستغرقون من الوقت حتى يعثروا علينا؟».
«من الصعب التخمين».
ظنت ليا لدقيقة ان ذلك كان جواب رايلي الوحيد. لكنه سرعان ما اضاف:
«لم يكن هناك متسع من الوقت لارسال برقية تحدد موقعنا. فقد كان غرادي مشغولا الى أقصى الحدود بمحاولته منع الطائرة من الاصطدام بحرف الجبل. واذا كان قد اخفق في تنفيذ خطة الطيران، فانه قد طار بعيداً عن الخط المرسوم له ساعياً بذلك ان يبتعد عن دائرة العاصفة ولا شك ان فريق الاستطلاع سيبدأ التفتيش في منطقة الطيران المرسومة اصلا. ثم يوسع بحثه اذا لم يعثر على الطائرة في تلك المنطقة».
«واذن، من المحتمل ان يعثروا علينا بعد ظهر الغد».
اعقب سؤالها لحظة من التردد، ثم قال:
«هناك مساحة واسعة من الارض الوعرة التي يجب ان يستطلع

فيها فريق البحث. وربما بلغوا موضعنا بعد ظهر يوم الاحد او الاثنين».

ارتجفت ليا من البرد وهي تقول:

«انا سعيدة لانني لم ابلغ لوني بقدومي اليه. فهو في اي حال لن يقلق عليّ لبعض الوقت ويفكر اذا كنت من بين الاموات او الاحياء».

ستبلغ السلطات والديها اولا. وهما بدورهما سيبلغان شقيقها. وعندئذ ربما تكون قد انقذت.

«هل كنت تزمعين ان تفاجئيه؟».

هزت ليا رأسها وهي تحرّك وجنتها فوق قماش بزته الرطب. ثم تنهدت قائلة:

«كنت ازمع مفاجأته بمناسبة عيد ميلاده الذي يصادف غداً».

ثم حاولت ان تبعد افكارها عن هذا الامر المزعج والمحزن، فسألته:

«ألم يكن بانتظارك احد؟».

«بلى. بعض اصدقاء اتعاون معهم في العمل».

امالت رأسها الى مؤخر كتفه وهي تحاول اختراق الظلمة لتلمح وجهه، وسألت:

«لحساب من تعمل؟».

ظهر فضولها سافراً لانها شعرت بانتفاء الحاجة الى صياغة اسئلة دبلوماسية وهي تقبع بين ذراعيه، فاضافت:

«هل تعمل لمصلحة شركة تعدين تنافس الشركة التي توظف شقيقي؟».

رد:

«انني اعمل لحسابي».

«هل تملك شركة تعدين؟».

بدت امارات الصبر والتروي على صوته:

«كلا. فانا اصنع الجواهر».

ما ان استوعبت قوله، حتى تذكرت قطعة الفيروز التي تدلت من عنقه. فسألت:

«مجوهرات من الفيروز؟».

رد بسخرية واضحة ومقصودة:

«او مجوهرات هندية، سمها كما شئت».

تجمدت ليا وهي تدافع عن نفسها:

«لم اقصد ان اهزأ واتهكم عندما ابديت ملاحظتي الاولى. فقد كنت مبتلة، وشعرت بالبرد، وظننت ان النار هي العلاج الطبيعي. وبكل بساطة لم اعرف كيف اشعل ناراً».

ثم ترددت وقد اغاظتها اشارته غير المباشرة الى ملاحظتها الجارحة التي اطلقتها من دون تفكير. وقالت:

«لقد اشار غرادي الى ان دماً هندياً يجري في عروقك لذا قلت ما قلته لاعتقادي بانك تحسن اشعال النيران فيما لا اعرف انا شيئاً عن هذا الأمر».

علق رايلي سميث برضى:

«ليس هناك داع لكل هذا الشرح، فقد فهمت ذلك من البداية».

وتمتمت ليا وهي تتمتم بينها وبين نفسها ان تعرف لماذا جعلها تقدم اعتذارها مع انه خمن قصدها. وشعرت ان النقاش سيكون عقيماً لان الخطأ في الاصل خطأها.

كظمت ليا غيظها، وانتقلت الى موضوع اقل حساسية:

«لماذا كنت مسافراً الى اوستن؟».

شرح لها الوضع ببعض التفصيل:

«توجد قرب المنطقة التي ازورها بعض مناجم الفيروز. وانا اتعامل مباشرة مع المشرفين عليها فاشتري الحجارة التي اريدها لاستعمالها في صنع المجوهرات».

عبست قليلا وهي تحاول ان تتذكر اذا كان لوني قد اشار في احدى رسائله الى مناجم الفيروز:

«لم اكن اعرف ان هنالك مناجم فيروز في تلك المنطقة».

«يوجد احتياطي من عرق الفيروز في منطقة تمتد من وسط الولاية مباشرة، وهي تبدأ بالتحديد في منطقة جبال باتل عبر اوستن. ثم تنحرف الى الشمال الغربي عند مدينة تونوبا. واذا رسمت العرق على الخريطة لظهر بشكل حرف L».

«طالما فكرت ان معظم الفيروز يستخرج من ولاية اريزونا».

«لا شك ان اريزونا تنتج كمية لا بأس بها من الفيروز. ولكنه نتاج جانبي لصناعة النحاس وتعدينه».

ثم اطلقت اصابعه بلطف شعرها الرطب الطويل من ياقة المعطف، وارخته على ظهرها.

وقال:

«اظن ان الوقت حان لننام قليلا. فسيكون نهار الغد يوماً طويلاً».

الحقيقة ان ليا لم ترد التوقف عن الحديث لأنه يصرف تفكيرها عن حادث التحطم، فهي تريد ان تشغل تفكيرها بامور اخرى.

«اعتقد انك على صواب».

وتنهدت مرغمة وهي تضيف:

«مرة اخرى».

وشعرت بتثاقل جفونها حين سألت:

«كم الساعة الآن؟».

«اظن انها تقارب منتصف الليل. هل انت مرتاحة هكذا؟».

هزت رأسها وهي تدنيه من صدره قائلة:

«اجل. تصبح على خير».

«تصبحين على خير».

خيّم الصمت على رغم قصف الرعد ووميض البرق ووقع المطر.

ولم يكن هناك اي من اصوات السيارات او الناس او اضواء الشارع التي كانت تشع عبر نافذتها، فتغفو على انوارها.

وشعرت بصلابة الارض وقساوتها تحت جسمها، وبانتظام حركة صدر رابلي الذيّ وفر وسادة لرأسها، وبضربات قلبه المنتظمة قرب اذنها.

لو اختلف مجرى الاحداث، لكانت الليلة بجوار لوني، ولنامت في سرير غريب. بيد ان غرابته لم تكن لتوازي جزءاً من غرابة سريرها الحالي. ثم تجمّد حلقها عندما فكرت لو سارت الامور في الاتجاه المعاكس، لكان غرادي قد بقي على قيد الحياة.

وهمست بصوت خفيض مختنق:

«لو اننا اقلعنا باكراً لكنا سبقنا العاصفة ووصلنا الى اوستن».

عندئذ شعرت ليا بذبذبات صوت رابلي الخفيض والرزين والخالي من العاطفة يخترق اذنها:

«وكنت مع شقيقك وكنت مع اصدقائي وكان غرادي ما زال حياً».

وانهمرت الدموع على وجنتيها وهي تقرّ بمرارة انه مصيب ايضاً. غير ان ذلك لم يهوّن عليها قبول الأمر. وطرفت اهدابها لتلتقط الدموع المنسابة.

استيقظت خلال الليل من رقادها المزعج والمتعب على صوت هدير هائل زلزل الارض تحتها. فتحركت وهي تفتح عينيها بعبوس. وهمست بحيرة:

«ما هذا؟».

حاولت ان ترفع نفسها معتمدة على كوعها. الا ان الذراع، التي طوقتها، ضغطت عليها ودفعت يد اخرى رأسها الى صدر رابلي.

واجاب رابلي بهدوء:

«لا تقلقي، فان ما تسمعينه ليس شيئاً. عودي الى النوم».

اطاعت ليا الامر لانها لم تستيقظ فعلا على نحو كامل، ولان عضلاتها المتعبة ابت القيام باي حركة. وقالت في نفسها ربما كان هذا صوت رعد.

www.rewity.com/vb

٣- حياة القفار

لم يكن الصوت، الذي سمعته ليا، رعداً.

سطعت شمس الصباح في عينيها. الا ان نورها لم يعمها عن رؤية اكمة ارتفعت من تجمع شظايا الصخور والحجارة امامها. الانهيار دفن الطائرة باكملها.

ورأت في منطقة عالية من المنحدر الصخري فتحة سوداء هي في الحقيقة مدخل منجم تمددت في وسطه شجرة ضخمة. وقد دفع المطر المنهمر في الليلة الماضية البقايا الرخوة من المنجم الى اسفل المنحدر. وتذكرت ليا تحذير رابلي من حدوث ذلك. ولو باتوا في الطائرة، لكانوا حبسوا داخلها، او اختنقوا من انقاض الحصباء.

مع الصباح احست بوجع في عظامها من النوم على الارض الصلبة، وتشنج في عضلاتها لشدة التصاقها برابلي حتى تدفأ من حرارة جسمه. ورأت ان عناءها امر بسيط امام اختفاء الطائرة تحت هذا الجبل الضخم من الركام.

وراقبت رابلي بهدوء وهو يشق طريقه فوق الركام بانتباه. ومع كل خطوة من خطواته تحركت الارض تحت قدميه محدثة انهيارات صغيرة اندفع معها الحصى بعيداً. ثم توقف رابلي لينحني ويرفع الصخر بعيدا بحذر شديد.

وظهر جسم ابيض اخذ حجمه يزداد كبراً فيما استعمل رابلي ذراعه اليسرى كحاجز لدفع الحصى المندفع ليغطي البقعة المكشوفة. واستعمل يده الطليقة ليتخلص من مزيد من الصخر ببطء شديد ومضن.

وكان هدفه مخزن الامتعة في مقدم الطائرة المنهار حيث لوى الحطام الباب وفتحه جزئياً عند اسفله. وشاهدت ليا رابلي وهو يجهد

مستعملا يده الوحيدة الطليقة ليفتح القسم الباقي من الباب.

ولما انفتح المزلاج، رفع الباب بسرعة ليستعمله بدل ذراعه في صد الحجارة المتدافعة. ثم دخل الطائرة واخرج حقيبته وحقيبتي ليا بسرعة.

وتراقصت الحجارة على جانبي الباب مهددة متوعدة. ودفع الحقائب على الصخور المتدحرجة لتحملها بعيداً عن الطائرة.

وحبست ليا انفاسها وهي تراقبه ينزل الباب على مهل خصوصاً وانه كلما ضاقت فتحة الباب كلما زاد اندفاع الصخور.

ارتفعت فوق رابلي مجموعة من الصخور لم تحدث انهياراً عندما انزل الباب، الذي سرعان ما غطته الحجارة. ثم استدار ونزل المنحدر نحو الامتعة ببطء وهو يجلس القرفصاء.

ولما وقف ثانية على الارض الصلبة اطلقت ليا الانفاس التي حبستها في زفرة ارتياح. وحمل رابلي الحقائب الثلاث، وسار نحوها وقد وقفت بعيداً في مأمن من الخطر.

وقال مبتسماً:

«الآن يمكننا ان نغير ملابسنا».

وافقت ليا:

«لا يمكنني الانتظار».

على رغم ان ملابسها كانت قد جفت نسبياً، فانها كانت لا تزال تشعر برطوبتها على جلدها.

ثم وضع حقيبتها وحقيبة ادوات زينتها على الارض امامها، وهو يقول:

«هل احضرت بنطالا في هذه الحقيبة؟».

اجابت:

«اجل».

«يحسن بك ان ترتديه وان تنتعلي حذاء بلا كعب».

ونظرت ليا حولها، فرأت ان الاشجار الصحراوية الخفيضة كانت

نادرة في المنحدر الجبلي. ولم تشاهد صخراً كبيراً يمكنها ان تستعمله كستارة تبدل ملابسها خلفها.

فقالت:

«اين يمكنني ان ابدل ملابسي؟».

التمعت عيناه سخرية وهو يجيب بلا مبالاة:

«اينما شئت».

قالت ليا:

«اريد ان اختلي في مكان خاص. فانا لا اريد ان اتعرى امام جمهور من المتفرجين».

وانحنى ليفتح حقيبته وهو يقول بعدم اكتراث:

«اظن ان عليك ان تزحفي* خلف احدى هذه الشجيرات. فانا لا ارغب بالتفرج عليك بقدر ما ارغب في تبديل ملابسي».

اطبقت ليا شفتيها. ثم ركعت امام حقيبتها وهي تضع ذراعها الجريح حول خصرها.

وحاذرت ان تصدمها عرضا وهي ترفع غطاء حقيبتها لتنقب فيها عن ملابس داخلية جديدة وبنطال. وتمتمت بتشنج:

«لم اقصد ان تجلس وتصفق لي وانا اخلع ملابسي».

رد رايلي مستهزئاً:

«آه. وماذا قصدت اذن؟».

اجابت وهي تلف ملابسها في شكل كرة وتضع فوقها حذاء بلا اكعاب:

«عن رغبة في بعض العزلة».

اقترح متحدياً:

«يمكنك ان تتمتعي بكل العزلة التي توفرها لنا بيئتنا البدائية».

فصاحت وهي تغلق باب الحقيبة بعنف:

«اشكرك».

ونهضت مرتبكة وهي تحمل حزمة ملابسها. ومشت نحو دغلة

كثيفة نسبياً من نبات الناعمة الشبيه بالنعناع، وهي ترفع انفها عالياً. ثم شتمت نفسها في سرّها لانها ارتكبت الخطأ ثانية.

فهو، على عكس ما ظنت، لم يقصد الاساءة بملاحظته المازحة بان تبدل ملابسها انى شاءت. الا انها استاءت وهبت تدافع عن حشمتها بدون سبب، وكان انفجارها بلا مبرر. ونتيجة ذلك ظهرت بمظهر الاحمق الجاهل.

وتنهدت بغضب متسائلة لماذا تخطىء دائماً.

وتوقفت عندما سمعت رايلي يناديها:

«آنسة تالبوت».

ترددت وهي تستدير نحوه. وشعرت بضرورة الاعتذار. لكنها لم تكن قد هدأت لتقدم اعتذاراً مخلصاً. وسألت باقتضاب:

«ماذا؟».

«اود ان افحص ذراعك قبل ان تلبسي بلوزة نظيفة».

فوافقت. ثم تابعت سيرها.

وبعد ان خلعت ليا ملابسها المبللة، ولبست ملابسها الداخلية وبنطالها النظيف، تذكرت ان رايلي اراد فحص جرحها قبل ان تخلع بلوزتها المبللة لان كمها المقصوص يسهل عليه معاينة الجرح. فوقعت في مأزق: فمن جهة، لا بد لرايلي ان يفحصها قبل ان ترتدي بلوزتها النظيفة، ويراها في سترتها الداخلية. وهذا امر لا ترضاه علماً بأن ملابسها الداخلية تغطي من جسمها قسماً اكبر من القسم الذي تغطيه سترة الاستحمام. اما من الجهة الثانية، فعليها ان تلبس بلوزتها المبللة فوق ثيابها النظيفة. وهذا امر تأباه وتشمئز منه.

فتمتمت بينها وبين نفسها: «كثيراً ما توقعين نفسك في مأزق حرجة يا ليا تالبوت».

التقطت بلوزتها النظيفة المرقطة بخطوط صفراء زيتونية اللون، ولفّت بها صدرها وذراعيها. وضغطت عليها بقوة بيدها اليمنى. وخرجت من وراء الجب وهي تبتسم بسخرية بعد ان اقتنعت انها

غطت القسم الاعلى من جسمها بحشمة.

كان نسيم الصباح بارداً وقد ملأه المطر الذي هطل في الليلة الماضية بأريج نبات الناعمة. فارتجفت كتفا ليا العاريتان. ولم يكن بامكانها ان ترد ذلك الى برودة الطقس وحده او الى قشعريرة الحياء والرهبة والخوف.

وقف رابلي في بقعة الارض الخالية من الاشجار حيث قضيا الليل، وقد ادار ظهره. وفيما زرّر قميصه البيضاء المتدلية فوق بنطال الجينز الكحلي، تلألأت اشعة الشمس في شعره الاسود. وسألته ليا:

«هل يمكنك ان تعاين ذراعي الآن يا سيد سميث؟».

نظر فوق كتفه، واستدار وهو في مكانه من دون ان يكمل تزرير قميصه. ثم انحنى على صندوق الاسعافات الاولية وهو يرد بلطف:

«اجل. سوف افحصه».

سارت ليا نحوه وهي ترفع رأسها بكبرياء لتخفي خفقات قلبها المتسارعة في حين نظر ببطء الى الاجزاء العليا من ملابسها الداخلية. فعلت الحمرة وجنتيها. وقالت ليا مبررة وضعها:

«اسأت فهم ما قصدته اذ نسيت قصة الكم».

قال، وقد التمعت عيناه بشرر اسود، لم تفهم ليا اذا كان يعني السخرية منها ام لا:

«ادركت ذلك، فحاولت ان افهمك قصدي، لكني خشيت ان تشني هجوماً جديداً عليّ قبل ان اكمل كلامي».

خفضت ليا ذقنها وهي تجيب:

«آسفة».

اما رابلي، فازاح الخرق الملتصقة بذراعها ليفحص جرحها وقد قبل اعتذارها من دون تعليق. وتأملت انامله وهي تفحص جرحها بلطف. فرماها بنظرة حادة وهو يسألها:

«هل يؤلمك الجرح؟».

اجابت وهي تعض على شفتها السفلى:

«طبعاً».

قال متسائلا:

«انه يبدو نظيفاً. فهل تشعرين بوجود شيء داخله؟ قطعة زجاج مثلا؟».

هزت رأسها مجيبة:

«كلا. انه يؤلمني فقط».

«سوف اضع عليه ضمادة جديدة».

وراقبته وهو يبدل الضمادة بمهارة. وركزت نظرها على عنقه، وخصوصاً على تجويف حلقه حيث ارتاحت كتلة الفيروز. ثم انحدر نظرها الى الجزء الاعلى المفتوح من قميصه حيث التمع صدره البرونزي وكأنه صدر تمثال. ومرّت بضع ثوان قبل ان تفطن الى انه انتهى من عمله. فاحمرّت خجلا وحياء.

وقالت وهي تضغط باصابعها على بلوزتها وهو يحدّق الى وجهها:

«شكراً».

ردّ وهو يميل رأسه بشيء من السخرية:

«العفو. لا داعي للشكر».

وادار ظهره لها وهو يتابع حديثه ضاحكاً:

«الآن يمكنك ان ترتدي بلوزتك شرط ان تعديني بانك لن تنظري الي وانا اضع قميصي تحت البنطال».

فوعدته ليا وهي تضحك بهدوء. ثم ادارت ظهرها له. وادخلت ذراعها المصابة في كم بلوزتها بترو. ثم استدارت لتلتقط الكمّ الآخر. وفيما كانت تزرر الزر الأخير، سألها رابلي:

«هل انتهيت؟».

قالت:

«اجل. الآن يمكنك ان تدير وجهك نحوي».

وارتسمت على وجهها ابتسامة طبيعية فيما استدار وهو في مكانه وقد التمعت عيناه الخضراوان دفئاً وعاطفة. وقال وهو ينحني ليلتقط

بزة الجينز الملقاة على الحقائب:
«هل تشعرين بتحسن؟».
اجابت ليا:
«لا شك ان ارتداء الثياب النظيفة والجافة هو بحدّ ذاته تحسن كبير. الا انني سأشعر بتحسن افضل عندما اتناول فطوري».
قال:
«في الصفيحة الموضوعة هناك بعض البسكويت الرقيق. وهذا افضل ما يمكنني ان اقدمه لك حتى استطيع جمع بعض الحطب لاشعل ناراً».
ثم حذرها:
«لا تحتوي القنينة على الكثير من الماء. فاستعمليه بحكمة وانتباه».
اجابت وهي تجثم بجانب الصفيحة وترفع غطاءها:
«سأفعل».
ووجدت ان الصفيحة تحتوي على قطع البسكويت الرقيقة، وعلى علب من الاطعمة المجففة، التي يجب ان تمزج بالماء قبل تناولها، وعلى بعض قطع من لحم البقر المجفف. فقالت:
«لم اكن اعرف ان الطائرات المستأجرة تحمل على متنها صناديق طعام».
قال رايلي:
«انهم لا يفعلون عادة. غير ان غرادي كان يؤمن بالخرافات».
فعبست ليا:
«يؤمن بالخرافات؟ ماذا تعني؟».
اوضح قصده:
«لقد خدم غرادي في الحرب الكورية كطيّار في طائرات الاستطلاع الخفيفة حيث اعتبرت صناديق الطعام، التي يستعملها الطيارون عند اسقاط طائراتهم للبقاء على قيد الحياة، عنصراً اساسياً

من اجهزة الطائرة. وذات يوم نسي غرادي ان يضع هذا الصندوق في طائرته، فاصيبت بنيران المدافع المضادة وسقطت في منطقة غابات كثيفة حيث كسر رجله. ولحسن حظه انه سقط في ارض صديقة. غير انهم لم يعثروا عليه الا بعد ثلاثة ايام. واقسم انه كاد يموت جوعاً ولم يطر بعد ذلك من دون ان يحمل معه الصندوق. ولم يصب ثانية. وبعد تسريحه من الخدمة، عاد الى الولايات المتحدة حيث حصل على وظيفة طيّار. وظلّ يحمل الصندوق كتعويذة تقيه السقوط وتؤكد حسن حظه».
وامسكت بورقة البلاستيك الشفافة بعد ان فتحتها جزئياً. وشعرت بانقباض شهيتها.
وهمست بحزن:
«لم يفلح الصندوق في جلب الحظ له هذه المرة».
لم يعلّق رايلي على عبارتها، بل قال:
«لقد المحت له مرة ان هذه المأكولات المجففة لن تنفعه في هذه المنطقة الصحراوية حيث يندر وجود الماء. فاجابني انه لم يضطر الى استعمالها وانها بالتالي لن تفسد مع مرور الزمن».
وببرودة نقلت ليا نظرها الى تلة الصخور والتراب التي غطّت الطائرة. وطرحت على رايلي سؤالاً كانت تعرف جوابه:
«الا يمكننا ان نسحبه من هناك؟».
اجاب:
«كلا. ان ذلك يحتاج رجالا وآليات وطريقة خاصة في صدّ الحجارة والصخور عن الطائرة».
ثم عاد رايلي بالحديث الى وضعهما:
«اما الآن فانا ذاهب لجمع بعض الحطب لاشعل ناراً تشير الى مكاننا. فابقي انت هنا حيث ستكونين بخير».
وافقت ليا وهي ما تزال تركز نظرها على التلة التي تشبه القبر.
«انتبهي لاي طائرة استطلاع علماً بانني لا اتوقع ان تصلنا مع هذا

الصباح».

ذكرها صوته الثابت بان همها الاول هو خلاصها لان ليس بامكانها مساعدة الطيّار. فتنفست ليا بعمق ونظرت ثانية الى لفة قطع البسكويت الرقيقة الصغيرة التي حملتها في يدها. وقالت:

«سأفعل».

ثم اضاف:

«اذا احتجت اليّ، اصرخي».

وابتسم مطمئناً ليا التي اطرقت، ثم انطلق متسلقاً المنحدر باتجاه المنجم المهجور. وشقّ بخطواته العريضة الرشيقة ممراً جديداً متجنباً بذلك الارض المهتزة بفعل الانهيار. وراقبته ليا حتى اختفى في اعلى المنحدر الصخري.

وفتحت ليا حزمة البسكويت الرقيق محاذرة تمزيق الورقة التي تلفها. وتناولت قطعة جافة يشبه طعمها مذاق القشور. ثم لفت القطع الباقية. ولما رفعت القنينة لتشرب، تذكرت قول رابلي بان الماء نادرة وثمينة.

وبدت مترددة وهي تتناول جرعة صغيرة لتساعدها على ابتلاع قطعة البسكوت الرقيقة. ثم سدت القنينة وهي تفكر انه من سخرية القدر ان يشعر الانسان بالظمأ عندما تندر المياه. وبدت لها القنينة المملوءة تقريباً قطرة ماء صغيرة في هذه الارض القاحلة.

ثم وضعت القنينة جانباً، ودنت من حقيبة الزينة. فدهنت وجهها بمسحوق مطهر، ثم سرّحت شعرها واسدلته فوق كتفيها كستارة حريرية كستنائية اللون. وشعرت انها عادت قوية وصحيحة الجسم.

وفحصت الجهة الغربية من الفضاء بعينيها البندقيتين المتمعتين، فلم ترحتى سحابة واحدة تعلو زرقة السماء اذ كانت سحب العاصفة التي هبت في الليلة الماضية قد اختفت كلياً.

ورأت عصفوراً صغيراً يطير متكاسلا فوق الوادي الصحراوي في

حين لمحت دخان طائرة ينفث شريط دخان خفيف في الافق البعيد.

وبدت الصحراء ممتدة الى ما لا نهاية. ولاحظت بخوف انها لم تتبين اثراً بشرياً، بناية كان ام شارعاً.

وطغى عليها شعور عارم بالوحدة وانقلب صمت الصحراء ضجيجاً. فماذا لو لم تعثر السلطات عليها؟ الا ان ليا انتصبت واقفة قبل ان يمتلكها هذا الشعور ويسحقها. وقالت في نفسها انها ليست ذاهبة في رحلة استجمام، بل هناك من يبحث عنها ولن تبقى تائهة في هذه القفار الوعرة الى الابد.

ثم تطلعت الى المنحدر الصخري حيث رأت رابلي آخر مرة. وتمنت لو يعود سريعاً. وتذكرت نصيحته بان تناديه اذا احتاجت اليه. وشعرت انها في تلك اللحظة كانت بحاجة لأن تعرف اذا كان ما زال هناك. الا انها كبحت جماح رغبتها في مناداته.

كان العمل هو الحل. فجلوسها بدون حراك اطلق خيالها بعيداً. ولا شك ان فرق الاستطلاع ستجدها. غير ان المسألة هي مسألة وقت. وفي تلك الاثناء افضل ما تفعله هو ان تقوم بعمل معين حتى يرجع رابلي. فامسكت ليا بذراعها الجريحة، ونظرت حولها بحثاً عن عمل. ووقع نظرها على ثيابها المبللة التي كانت قد القتها على حقيبتها ورأت انها لن تجف وهي مكومة. فحملت بلوزتها الموضوعة فوق الكومة وذهبت بها الى شجيرة تعلقها وتمددها لتجف. ثم رجعت لتأخذ قطعة اخرى. وتعمدت اضاعة الوقت في تبسيط التجاعيد وتمديد زوايا القطع الاربع فوق الشجيرة مما اطال مدة العمل.

ولما انتهت من نشر ثيابها، بدأت تنشر ملابس رابلي. وفيما كانت تنظم اكمام بزته البنية، سمعت حجراً يتدحرج في المنحدر الجبلي خلفها. واستدارت، فرأت رابلي يهبط المنحدر وهو يحمل بعض قطع الحطب، وكان معظمها من الشجرة التي تسد مدخل المنجم.

حيته والسعادة والارتياح يرنان في صوتها:

«مرحباً. آه! انك وجدت بعض الحطب».

اجاب مبتسماً وقد زال عن وجهه قناع التحفظ:
«يوجد المزيد من الحطب في اعلى المنحدر، وهذا يبعث على الاطمئنان في الوقت الحاضر. لكنني وجدت شيئاً آخر».
كبست ليا انفاسها وهي تسأل:
«ماذا؟».
وشعرت انه سعيد بما وجد، ولذلك اشرقت عيناه فرحاً وطفحت ملامحه الجذابة بشراً. ولعله رأى طريقاً في منقلب الجبل الثاني.
القى رايلي الحطب ارضاً ثم نظر الى الجبل وهو يقول:
«وجدت ماء. فعلى الجانب الشرقي توجد طبقة صخر بارزة تشبه الاناء، تمتد تحت غطاء صخري صغير. وقد امتلأ نصفه من المطر الذي هطل ليلة امس».
ومع انه لم يعثر على معلم من معالم المدنية، الا ان لسان حالها قال ان اكتشافه للماء كان مساوياً لذلك. ولذا سألت:
«هل هو صالح للشرب؟».
واشرقت عيناه بابتسامة تحاكي ابتسامة شفتيه:
«انه من ماء المطر».
ضحكت قائلة:
«اود لو اشرب القنينة بكاملها احتفاء باكتشافك».
وركع رايلي بجانب كومة الحطب وهو يشير الى القنينة قائلاً:
«هيا. فأنت اليوم في ضيافتي».
اجابت وهي تهز كتفيها:
«لم اعد اشعر بالظمأ اذ عرفت ان بامكاني ان اشرب».
والتقط رايلي لوحاً رقيقاً من الخشب ليسوّي به الارض ويعد دائرة للنار، وقال:
«هل يمكنك ان تجمعي لي بعض الحجارة لبناء دائرة للنار؟ التقطي بعض الحجارة المتناثرة عند منطقة الانهيار».
تأخرت ليا في جمع الحجارة المتوسطة الحجم لبناء دائرة خارجية

لحفظ النار، وذلك بسبب ألم ذراعها. ولما فرغ رايلي من تسوية الارض، سحب السكين من جيبه واخذ يقطع الخشب للنار. فجمع كومة من شظايا الخشب وسط الدائرة.
وسأل رايلي:
«هل عندك بعض الورق؟».
اجابت ليا:
«بعض الاوراق في حقيبة ادوات زينتي».
قال:
«هذا رائع».
وفيما مضت ليا لتجلب الاوراق، اخرج من جيب سترته الداخلي علبة ثقاب.
ثم اعطته ليا ورقة رقيقة بيضاء، وراقبته وهو يدخلها تحت شظايا الخشب ويخرج عود ثقاب ليفركه بجانب العلبة. واحتضن لهيب الثقاب بيده فيما ادنى العود من الورقة الرقيقة التي اسودّت قبل ان تشتعل. عندئذ نفخ في النار نفخة خفيفة.
ورعى رايلي النار حتى لا تنطفىء. وقال وهو ينظر الى ليا مبتسماً:
«اذا كان هناك حاجة الى ضمانة عند اشعال النار، فهي انه مهما كان اتجاه الريح لحظة اشعالها، فان اتجاهه سيتغير بعد دقيقة من اشعالها ليذري الرماد على من اشعلها».
ضحكت من صحة ملاحظته وقالت:
«اهذه حكمة هندية؟».
اجاب:
«طبعاً».
ولما بدأت الاخشاب الصغيرة تشتعل اضاف رايلي قطعاً كبيرة من الحطب في شكل هرم حول النار وفوقها.
وهبت نسمات خفيفة. ثم نظرت حولها لترى اجمات نبات الناعمة الجافة المنتشرة حول جانب الجبل. وشاهدت بضع اشجار

صغيرة من انواع مختلفة مغروسة فوق منحدراته. وسألت:

«هل هناك احتمال ان يشتعل العشب من حولنا؟».

ولم تحاول ان تتصور الفزع والذعر الذي سيدب فيهما اذا كان عليهما الهرب من مثل هذا الحريق. واجاب رايلي:

«احتمال ضئيل. فدائرة النار ستحفظ اللهيب من الانتشار خصوصاً ان الريح ليست قوية. والغريب ان النار نادراً ما تمتدّ في الصحراء علماً بان نباتاتها جافة وقابلة للاحتراق بسرعة».

مالت ليا برأسها جانباً، ثم دفعت شعرها الامامي خلف اذنها وهي تقول:

«لماذا؟».

فاوضح:

«لانها جافة، كما ارجّح. فهناك قليل من الرطوبة في الصحراء مما يمنع النباتات من النمو قرب بعضها. وجذور النباتات هنا كبيرة وعميقة لتتمكن من امتصاص كل قطرة ماء. وهي بذلك تخنق اي نبتة جديدة تحاول النمو. والمسافة بين النباتات تمنع اي حريق من ان يشبّ ويمتد».

. ثم جلس القرفصاء ينتظر اشتعال كومة الحطب الهرمية الشكل. عندئذ فقط فهمت ليا معنى قوله في الليلة الماضية ان اشعال النار عملية بطيئة اذا تمت من دون الاستعانة بالبنزين او اي وقود آخر سريع الاحتراق.

ثم استأنف حديثه:

«اما الآن، وقد وجدنا الماء فبامكاننا ان نخلط بعض هذه الاطعمة المجففة».

فتحت ليا الصفيحة واخذت تنظر الى العلب قائلة:

«لنرَ ما فيها. هنا بعض حساء من لحم البقر. ولكن، اي اناء نستعمل لنغليه؟».

اجاب:

«يوجد فوق المنحدر بعض القطع المعدنية الملتوية التي تطايرت من جناح الطائرة. وربما امكننا استعمال احداها كقدر مؤقتاً».

وقالت وهي تقف:

«دعني أرى».

بيد انه اشار عليها بالجلوس. وقال:

«ارى انه من الافضل ان افحصها انا بنفسي. فلا اريد ان تجرحي نفسك عرضاً باطراف المعدن الحادة».

ثم شقع قطعتي خشب كبيرتين بجانب بعضهما بعد ان تأكد انه ترك فسحة في اسفلها ليسمح بدخول تيار الهواء.

لم تبد ليا معارضة وهي تراه يقف برشاقة لانها احست بارتباك وانزعاج فيما كانت تجمع الحجارة لبناء دائرة النار بيد واحدة.

وفي غضون دقائق رجع رايلي وهو يحمل قطعة معدنية ملتوية. ثم انتزع حجرين من دائرة النار واستعمل احدهما كمطرقة والآخر بمثابة صخر مساند. وطرق الاطراف الحادة على المحيط الخارجي للقدر. ثم قلب القدر واضعاً فوهتها على الصخرة وبسط قعرها. ولما استقامت جوانبها، فحصها للحظة ثم القى بها الى ليا. ورفع جبينه بسخرية وهو يسأل:

«اتظنين يا حضرة الطاهية ان هذه القدر المؤقتة ستنفع؟».

اومأت ليا برأسها وهي تقول بمرح:

«اذن، انا هي الطاهية، اليس كذلك؟».

ورنت من عينيه الخضراوين الداكنتين التفاتة ماكرة حين قال:

«ان الطهي عمل من اعمال زوجة الهندي. اليس كذلك؟».

ابتسمت ليا وهي تهزّ رأسها فيما تعجبت في سرّها من انهما يتندران على الدم الهندي الذي يجري في عروقه بعد ملاحظتها العنيفة والساخرة والغبية في الليلة الماضية.

وقالت:

«لقد سمعت انه كذلك».

وأراها القدر لتفحصها وهو يسأل:
«اذن، هل تنفع القدر؟».
«اظن ذلك. ولكن، هل يمكنك ان تعطيني القنينة؟ فسأمزج الحساء فيها تعمل على اضرام النار».
قطرت ليا بعض الماء في القدر وغسلتها اولا. ثم جففتها ببعض الورق الرقيق. وخمنت مقدار الماء الذي تتطلبه القدر. ثم اضافت الحساء المجفف.
ثم نظرت الى رايلي وقد علت وجهها ابتسامة مفاجئة لتقول:
«بماذا احرّك المزيج؟ وبعد، كيف يمكننا ان نأكل الطعام من دون ملعقة؟».
ناولها سكينه ونصلها مغمد:
«هناك السكين. اظن انه من الافضل ان نأكل اللحم والبطاطا بواسطة السكين ثم نشرب السائل».
فحركت المواد الجافة في الماء وهي تعلق:
«واظن اننا سنستعمل القدر كطبق جماعي».
مرّت قرابة ساعة قبل ان يتمكن رايلي من جمع بعض جمرات مشتعلة من قلب النار لتسخين الحساء. ثم وضع القدر على علو بضعة سنتيمترات من النار وقد دعمها ببضع احجار مسطحة.
لم يمرّ وقت طويل قبل ان يغلي السائل وتنبعث منه رائحة شهية.
وفي الوقت نفسه صمم رايلي صحنين قليلي العمق من معدن الطائرة موضحاً ان ليس بامكانها احتساء السائل من القدر لشدة حرارة جوانبها. ولما نضج الحساء، اخذ قميصه التي نشرتها ليا على الشجيرة وثناها ليرفع بها المقلاة عن النار.
وصب الحساء في الصحنين بانتباه. وقدم صحناً الى ليا. ورفضت ليا استعمال سكينه لانها فضلت ان تغرف القطع الكبيرة بقطعة بسكويت رقيقة. ولم تثبت الملعقتان المؤقتتان جدارتها رغم انها ادتا الغرض المنشود.

ولما فرغا من وجبتها، اخرج رايلي من جيب قميصه علبة تبغ وسحب سيكارة ذات فلتر، وقدمها الى ليا:
«هل ترغبين بسيكارة؟».
قبلت ليا. وانحنت نحوه لتشعل السيكارة بطرف قضيب مشتعل.
دخنا سيكارتيهما في هدوء وصمت. وانهت ليا سيكارتها اولا. ورمت عقبها في نار المخيم المتأججة وتنهدت:
«اظن انني سأغسل الصحون».
فوافق رايلي:
«حسناً تفعلين. فاني اظن اننا سنستعملها هذا المساء».
شدّ تعليقه انتباهها الى السماء الخالية من اي طائرة استطلاع.
«الرمل سينظفها اكثر من الماء».
وابعدت ليا نظرها عن السماء لتمسك بالقدر وتضع فيها حفنة صغيرة من الرمل. ولما فرغت من فركها، صبّت فيها بعض الماء لتغسل الحصى. ثم انتقلت الى تنظيف الصحنين. عندئذ افرغ رايلي القنينة في القدر. فعبست:
«لماذا فعلت هذا؟».
اجاب:
«اني ذاهب لاملأ القنينة من الحوض. واثناء ذهابي ارغب ان تحتفظي ببعض الماء لتصبيه على النار اذا رأيت طائرة استطلاع».
اعترضت:
«لكن النار ستنطفىء».
الا ان رايلي اشار:
«انه سيرسل دخاناً كثيفاً، وقد يحالفنا الحظ ساعتئذ بان يرانا الطيّار ويأتي للاستطلاع».
فعلّقت مبتسمة:
«آه، لقد فهمت. انها حيلة الدخان الهندية القديمة».

فغمز بعينيه. ومشى نحو المنحدر وهو يقول:

«اجل. اجل».

وتابعت ليا تنظيف الصحنين. ثم غسلتهما بجرعتي ماء وجففتهما ببعض الورق الرقيق. وبعد ان انجزت عملها هذا، تفحصت الملابس التي نشرتها على الشجيرات فوجدتها قد جفّت. فطوت ملابسها ووضعتها في حقيبتها. وبعد ان فرغت من ذلك العمل الذي استغرق بعض الوقت لاستعمالها يدها اليسرى جزئياً، لم يكن رايلي قد رجع. حينئذ كانت حرارة الشمس قد بدأت تشتدّ. فزادت بعض الحطب على النار وجلست بعيداً عن اللهيب وهي تنتظر.

اخيراً رأته يقف على المنحدر، ثم يهبط حاملا القنينة بيد ولوح خشب يبلغ طوله متراً وبعض المتر.

فصاحت ليا وهو لا يزال في منتصف الطريق:

«كنت افكر بالامر الذي اعاقك. وارى انك ذهبت في طلب المزيد من الوقود».

اجاب:

«كلا. لن استعمل هذا اللوح للوقود».

ثم وضع القنينة بجانب صفيحة المعلبات مضيفاً:

«سوف اشق هذا اللوح الى لوحين اجعل منهما عمودي مظلة. لان الحرّ سيزداد ولا بد ان نستظل منه».

وبعد ان شقّ اللوح لوحين مستعملا السكين الصغيرة كوتد، حدد طرفي كل لوح. وكان طرفا البطانية مزودين بحلقات معدنية. فثبت زاويتين من البطانية في العمودين بينما ثبّت الحلقتين الاخريين على الارض واضعاً فوقهما الصخور.

واعلن وهو ينحني ليدخل مظلّته فيما اومأ لليا كي تنضم اليه:

«واذا هبّت ريح قوية، فستقلب المظلة غير انها ستقينا من حر الشمس حتى يحدث شيء مثل هذا».

انتقلت بحماسة الى الظل بعد ان لفحتها اشعة الشمس المحرقة.

اما رايلي، فامسك عصا التقطها من كومة الحطب وبدأ يعمل سكينه فيها. فسألته بفضول:

«ماذا تفعل الآن؟».

«افكر في صنع ملعقة».

فتمددت ليا على ظهرها مستعملة ذراعها كوسادة بينما راحت تراقب رايلي وهو ينزع قشرة الخشب الخارجية بسكينه. كان لوقع نشر الخشب الرتيب اثر التنويم عليها. فسرعان ما تثاقلت جفون ليا.

ولما حاولت ان تنفض التعب والنعاس عنها بعيداً، قال رايلي:

«لماذا لا تحاولين ان تستريحي؟ فساراقب انا طائرات الاستطلاع بنفسي».

توقفت عن مغالبة النعاس، واغمضت عينيها قائلة:

«اظن انني سأفعل».

٤ - أمل يضيع

وقدت ليا في الهاجرة. ثم استيقظت على صوت الايقاع الذي غفت على رتابته. وكان رايلي لا يزال جالساً في ظل الخيمة وهو يحفر بسكينه عصا صارت اشبه بملعقة خشبية.

وطرفت عينيها لتطرد النعاس منهما. ثم نهضت محاولة الجلوس وقد جعلت من ذراعها رافعة لجسمها. لكنها ما لبثت ان صرخت صرخة حادة من فرط الألم والوخز في ذراعها اليسرى وتحولت بثقلها الى ذراعها اليمنى سريعاً. وتمتمت:

«ان هذا لجنون».

فحدق اليها رايلي بعينيه الخضراوين فاحصاً:

«هل تؤلمك ذراعك كثيراً؟».

اجابت:

«فقط عندما افعل شيئاً مثل هذا».

ثم جلست وقد حضنت ذراعها اليسرى في حرجها فيما بدأ الألم بالتراجع. وشعرت بجفاف في فمها. وقطبت جبينها ونظرت حولها قائلة:

«واين هي القنينة؟ اريد ان اشرب».

«انها وراءك في الظل».

استدارت ليا قليلاً لتناول القنينة. ثم رفعت السدادة عنها وتناولت جرعة كبيرة غيرت بها طعم فمها اذ كان الماء رطباً ولذيذاً برغم سخونته.

وسألت:

«واين اصبحت في صنع ملعقتك؟».

توقف رايلي عن العمل فور سماعه سؤالها، ورفع الملعقة ليريها

اياها. وقالت:

«يا لله كم تشبه الملعقة».

فاستأنف السكين عمله. ورأت ذبابة قرب رأس ليا مما جعلها ترفع ناظريها الى السماء قائلة:

«ألم يظهر دليل واحد على طائرة الاستطلاع؟».

اجاب باقتضاب:

«كلا».

وبعد بضع دقائق من الصمت وضع القطعة الخشبية الشبيهة بالملعقة على الأرض. ثم اغمد نصل سكينه ورده الى جيبه. وقال:

«سنحتاج مزيداً من الحطب الليلة، ولن اغيب طويلاً».

بينما صعد رايلي المنحدر انسلت ليا من المظلة ووقفت تمدد رجليها وتقوس ظهرها للتخلص من التشنج الناتج عن الاستلقاء على الأرض الصلبة. فرأت جسماً اسود يطير في السماء فوق رأسها المتراجع الى الوراء.

وشاهدت ليا صقراً يحوم. فحدقت فوراً الى الأرض مركزة نظرها على المنحدر. وسُرّت لان الصخرة والحطام دفنا الطائرة وجثة غرادي كلياً. واستدارت نحو الأفق الغربي تتأمل زرقته الخالية وهي تضع يديها امام عينيها لتحميهما من لمعان شمس الأصيل. ولم تلمح شيئاً. فخطر لها ان فرق الانقاذ وسعت دائرة بحثها الآن.

ومن المرجح ان يكون والداها قد استلما اشعاراً بضياعها، وكذلك شقيقها. «آه يا لوني، ما هذه الهدية المزعجة في عيد ميلادك».

واغرورقت عيناها بالدمع لدى التفكير بآلام اسرتها ونكدها. دوى في الأجواء صوت انفجار ظنته ليا للوهلة الأولى صوت اشتعال الوقود في محرك السيارة. لكنها سرعان ما ادركت سخف فكرتها لعدم وجود سيارات وطرق هناك. اذن لا بد ان يكون طلقة بندقية.

وبسرعة تذكرت المسدس الذي حمله رايلي في حزام بنطاله. علام

www.rewity.com/vb

يمكن ان يكون قد اطلق النار؟ هل تكون حية؟ وتملكها خوف شديد اذ من المرجح ان تكون المنطقة مليئة بالأفاعي ذوات الاجراس السامة.

وقالت:

«ماذا لو لسعته الحية؟».

وبدا ذلك ممكناً خصوصاً انها عبرت عن فكرها بصوت عال.

ثم استدارت رافعة نظرها الى المنحدر، وقد اتسعت عيناها البندقيتا اللون وتفحصتا المنحدر الجبلي الذي اختفى عنده رايلي وصاحت:

«رايلي، رايلي».

اجابها فوراً بهدوء ووضوح:

«لا تخافي. كل شيء على ما يرام».

وما هي الا لحظات حتى ظهر عند حافة المنحدر بقامته الطويلة المسمرة وقد لفه نوع من الكبرياء بكفاءته. كانت ركبتاها تنحنيان بالركوع عند رؤ يته وقد التصقت قميصه بصدره البارز العضلات نتيجة العرق. والتمع شعره الأسود الفاحم في اشعة الشمس، وقالت مرتعشة:

«لقد سمعت طلقة بندقية».

رفع ذراعه ليريها ارنباً تدلى من يده بلا حراك واوضح بارتجال:

«سنصنع منه عشاءنا هذه الليلة. سأحضر فور ان اجمع الحطب».

واختفى ثانية. لقد بدا في وقفته رجلاً في غاية الجاذبية. وسبق ان انتبهت ليا لهذا الأمر، غير انه لم يشدها بقوة كما حدث منذ ثوان. وفجأة بدأت تفكر في المرأة في حياة رايلي، واذا كانت هناك امرأة معينة تستأثر باهتمامه.

وتذكرت الذراعين القويتين اللتين احتضنتاها للنوم خلال الليلة الماضية، وجسمه الطويل الصلب المستلقي بجانبها. وشعرت

بالغيرة من المرأة... اذا كان هناك من امرأة... ثم هزت رأسها بسخرية وهي تشعر انها تحبه.

استدارت مبتعدة عن المنحدر وهي تتراجع الى مقرهما. وركعت بجانب صندوق المؤونة محاولة اقصى جهدها التفكير بما يجب تقديمه مع الأرنب الذي اصطاده رايلي. ووضعت كيساً من الخضار المجففة جانباً. ثم اضافت علبة من الدراق الى الماء في القدر.

ولما هبط رايلي المنحدر بعد بضع دقائق وهو يحمل الحطب على ذراعه، كانت ليا لا تزال تحرك الدراق محاولة تسريع امتصاصه للماء. ولم تقدر الا ان تنظر الى رايلي برغبة لم تعرفها مثلها من قبل.

وسعت الى تجاهل شعورها وهي تقول فيما نظرت الى الحيوان المتدلي بلا حراك:

«آمل الا تطلب مني تنظيف هذا الارنب. فليست لدي ولو فكرة بسيطة عن سلخه».

ابتسم رايلي بمكر:

«اذن يمكنك ان تراقبيني».

واحست الخبث في نظراته، فركزت بصرها من جديد على الدراق وهي تقول:

«كلا. شكراً. اعد الأرنب وانا اتكفل بباقي العشاء».

ظلت تصب اهتمامها على عملها. ومع انها لم تحس بالدوار لرؤ ية دم الأرنب، فإنها لم تسر بمنظر الجيفة الصغيرة وهي تنظف.

«عندما سمعت صوت الطلقة، تراءى لي ان افعى ذات اجراس قد عضتك».

اجاب رايلي موضحاً:

«لا تظهر الأفاعي ذوات الاجراس في هذا الحر الشديد. وهي تخرج للصيد قبل شروق الشمس وبعد غروبها بقليل. وجدير بالذكر ان الأفاعي ذوات الاجراس جبانة لا تهاجم احدا. ولا يمكن يخشاها الانسان الا اذا داس احداها بدون انتباه».

علقت بسخرية:
«اذن، حذرني من التجوال».
وضحك رابلي ضحكة منخفضة طربت ليا لعذوبتها. ونظرت خلسة الى ملامحه الواضحة والدقيقة. واعجبت كثيراً بنحافتها وقوتها.

بعد ان تناولا لحم الأرنب المشوي، جلسا يراقبان الشمس البرتقالية اللون تتمايل في الأفق فوقهما. واكتست الجهة الغربية من الفضاء بلون قرمزي براق فيما بدت سلسلة الجبال البعيدة وكأنها تشتعل اذ اغتسلت باشعة الشمس المحرقة.

ولم تشاهد ليا الا الفراغ في الصحراء حيث بدت هي ورابلي البشريين الوحيدين في الأرض باسرها. ولم تطرف عيناها وهي تنظر الى الشمس الغاربة. وسألت:
«هل تظن ان طائرات الاستطلاع ستعثر علينا غداً؟».
«هذا محتمل».
وسرت قشعريرة خفيفة في عروقها. ثم استدارت قائلة:
«وماذا لو لم يعثروا علينا يا رابلي؟ ماذا لو تهنا هنا الى الأبد؟».
التقت نظراتها بعض الوقت فيما نفذت نظرة رابلي الى اعماق عينيها البندقيتي اللون. ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يهز رأسه:
«لن نبقى هنا، بل سنخرج».
قالت:
«طبعاً».
وتنهدت وهي توبخ نفسها في سرها لأنها استسلمت للحظة خوف عابرة.

لم يمض على سقوط طائرتها غير اربع وعشرين ساعة فقط. وهذا وقت قصير لا يخشى معه من عدم العثور عليهما. انه يوم واحد، رغم انه كان اطول من دهر.

ووقف رابلي. ثم اضاف قطعتي حطب الى النار المتلاشية وانزل

البطانية عن المظلة ليتدثرا بها. وتخلص من طبقة الحجارة العليا حيث سيرقدان مستعيناً بنور الشمس الغاربة.

برد الهواء فور زوال الشمس. فاقتربت ليا من النار الصغيرة وحدقت الى لهيبها الذي لم يقض على قشعريرتها ولما بدأت ترتجف، اقترح رابلي ان يرقدا. وانتشر فوقهما بساط من النجوم البراقة.

كان اليوم الثاني اطول من الأول الذي شغلا الوقت فيه بتخليص ما امكنهما من الطائرة وايجاد الماء واضرام النار واختراع ادوات الطعام والطهي واقامة المظلة. وحيث ان الضرورة لم تقتض عمل اي من هذه الاشياء في اليوم الثاني، شعرت ليا بالوقت يجثم ثقيلا على صدرها.

واحست ليا بالحر يشتد والعرق يتصبب منها ويخز جلدها كالأبر. وظلت طوال النهار تتفحص السماء بحثاً عن طائرات الاستطلاع. وانهك جمود الانتظار اعصابها رغم انه لم يؤثر على الظاهر من رباطة جأش رابلي وهدوئه ورصانته.

وفجأة لمحت جسماً يلمع، فانتصبت واقفة وقد ملأتها الحماسة وهي تشير الى بريق الشمس على اجنحة معدنية وتقول:
«انظر هناك. انها طائرة. اليس كذلك؟».
وقف بجانبها يفحص السماء بنظرته الثاقبة حتى رأى هو ايضاً طائرة تطير ببطء في البعيد، وقال:
«اجل. انها طائرة».
وقالت وهي تستدير لتلتقط القنينة وتطفىء النار كي تنبعث منها اشارة دخانية تكشف موضعهما:
«سوف اجعلهم يعرفون اننا هنا».
اوقفها رابلي قابضاً على ساعدها باصابعه القوية. وقال:
«انها بعيدة جداً الآن».
وانتظرت ليا وقد تسمرت نظراتها على الطائرة فيما تضرعت بحرارة ان تعود نحوهما. غير انها تابعت مسيرها حتى اختفت. وفي

محاولة لاخفاء خيبة املها وامارات يأسها قالت بصوت خفيض:

«انها سترجع».

لكنها لم تفعل.

ولم تنم ليا جيداً في تلك الليلة اذ لم توفر الأرض الصلبة فراشاً وثيراً لعضلاتها المتألمة والمتشنجة بفعل النوم على فراش قاس في الليلتين الماضيتين. اما رايلي فنام بسهولة وراحة تثيران الاعصاب. ولم يستيقظ سوى مرة او مرتين ليخرج من تحت الغطاء ويضيف بعض الحطب من كومة قريبة.

واستيقظت ليا من نومها المتقطع لتكتشف ان الصبح قد انبلج. فتذمرت من قلة نومها المريح. ووضعت رأسها على ذراع رايلي لتتطلع باشمئزاز الى السماء الزرقاء المتألقة نوراً. ونبضت ذراعها اليسرى بألم شديد. فاستدارت نحوه محاولة ان تضع ذراعها في وضع اكثر راحة واقل ايلاماً.

ولما انقلبت الى جنبها، ركزت نظراتها على وجهه. وانتابها شعور بالكراهية للطريقة الهادئة التي ينام بها. وشعرت برغبة في ايقاظه وحرمانه لذة النوم التي لم تتمتع بها. وبينما فكرت جدياً في تنفيذ رغبتها، انفتحت اهدابه الكثيفة جزئياً. وقال بصوت نشيط وهادىء اثار اشمئزاز ليا:

«صباح الخير».

التمع الغضب في عينيها، وقالت وهي تشد طرف البطانية لتخلصها من قبضته:

«هل هو صباح خير فعلاً؟ انني لا اجد فيه اي علامة على الخير».

ولما ارخى قبضته، رمت بالبطانية جانباً واندفعت واقفة بارتباك.

ووقف بجانبها بهدوء وسهولة لم يظهر معها اي اثر لوجع او الم في عضلاته او مفاصله، وقال مازحاً:

«ارى انك لم تنامي جيداً».

تمتمت متهكمة:

«ان قولك لا يعبر عن الحقيقة. ولكنك، في اي حال، نمت نوماً عميقاً يكفي لاراحتنا نحن الاثنين».

اجاب مبتسماً:

«لا اظن ذلك. فقد احسست شيئاً يتذبذب في فراشي طوال الليل».

فحدقت اليه رافعة شعرها الكستنائي المجعد عن وجهها. وبدت مستاءة تصب جام غضبها، ولم تتمالك نفسها رغم ادراكها بانها اجحفت في حقه. واجابت:

«من حسن حظك ان ذلك الشيء لم يعضك».

ثم ربضت بجانب حقيبتها تنقب فيها عن بلوزة نظيفة تبدل بها بلوزتها المتجعدة. واقسمت في سرها ان ترميه بأي شيء اذا ضحك علانية من جوابها الفظ.

لم يعلق رايلي على الموضوع اذ احس بأن صبرها كاد ينفد. وقال:

«هل يمكن ان تغلي بعض الماء كي احلق ذقني؟».

غلبت لهجة الأمر على كلامه. وجاء رد فعل ليا ازاء لهجته متسرعاً اذ قالت:

«اغل ماءك بنفسك».

ثم لامت سوء تصرفها تجاهه لانه ليس مسؤولاً عن عدم نومها. والتقت نظراتها المليئة بالندم بنظراته الحادة اللائمة. فتمتمت:

«لا بأس. سأفعل».

ولم تستطع ان تكبت انفعالها اذ اضافت:

«فهذا في اي حال عمل الزوجة، أليس كذلك؟».

وأوحت لها قسمات وجهه بأنها تستفزه اذ سأل:

«هل تحاولين الدخول في شجار؟».

تنهدت ليا بغيظ:

«كلا».

واستدار في مكانه. ثم سار نحو الأجمة وهو يقول:

«حسناً تفعلين».

انتزعت بضع جمرات بعد ان اضافت مزيداً من الحطب الى النار. ووضعت قدر الماء على اربع صخور صغيرة فوق الجمرات المتفرقة. وبعد ان انهت عملها، خلعت بلوزتها وهي تشعر بألم شديد ومحرق في ذراعها اليسرى. وادخلتها بعناية في كم البلوزة الصفراء، النظيفة. وكانت تزرر اخر زر عندما رجع رايلي. فالقت نظرة على القدر، فوجدت الماء يغلي. وقالت ببرودة:

«لقد غلا ماؤك».

رد بالبرودة نفسها:

«اشكرك».

ورفع القدر عن النار وهو يمسكها بمنديل اخرجه من حقيبته. ثم توقف ليسألها:

«هل ترغبين في ان تغتسلي اولاً؟».

هزت ليا رأسها سلباً. ثم فتحت حقيبة زينتها واخرجت قارورة تحوي مسحوقاً منظفاً لتنظف به وجهها. واستقرت المرآة الملصقة على غطاء الحقيبة على زاوية ملائمة بحيث تمكنت ليا من مشاهدة طيفها وطيف رايلي معاً.

كان مشهد رجل يحلق ذقنه مثيراً للفضول. فقد قبضت اصابع لوحتها الشمس على الموسى التي اخترق نصلها رغوة الصابون وقطع شعر الذقن. ومع كل ضربة نصل ظهر مزيد من الجلد الأسمر تحت سالفيه الى ان تعرت ملامحه الدقيقة المغرية. وفيما غسل الصابون عن وجهه قالت ليا:

«أعتقد ان الهنود لم يكونوا يحلقون ذقونهم».

رد رايلي بنبرة جفاء وعدم اكتراث وهو يجفف الموسى ويضعها في حقيبته:

«لم يكونوا يحلقون فعلاً اذ كانوا ينزعون شعور وجوههم».

فصاحت ليا من الألم لدى سماع كلامه. واضاف باللهجة

نفسها:

«هل تؤلمك ذراعك اليوم؟».

ردت وهي تهز احدى كتفيها متحاشية ايذاء جرحها المحرق في الذراع الاخرى:

«قليلاً».

فتقدم منها قائلاً:

«دعيني افحصها».

رفضت ليا اقتراحه فوراً بسبب جفائه ونتيجة غضبها من قلة النوم:

«لا داعي لأن آلامها تدل أنها ستبرأ».

وتردد رايلي قليلاً وهو يفكر:

«في اي حال، لم يبق لدينا كثير من الضمادات في الصندوق. ولذلك افضل ان تغيري كل يومين اذا كان جرحك لا يؤلمك كثيراً».

فكررت عبارتها:

«لقد قلت انها آلام الشفاء».

وقبل تعليلها بابتسامة خفيفة:

«حسناً. اني ذاهب لاجمع بعض الحطب. كلي حتى اعود».

«لست جائعة».

اجابها بصرامة:

«سيجعلك الطعام تشعرين بالتحسن».

وغضبت ليا من كلامه الانتقادي:

«تقصد انه سيزيد من انفعالي. ولكني في اي حال لست جائعة».

وأعقب عبارتها الاستفزازية لحظة من الصمت والتوتر. وقال رايلي بلهجة هادئة تحذيرية:

«ادرك انك لم تنامي جيداً في الليلة الماضية. غير انني اقترح ان لا تصبي جام غضبك عليّ يا آنسة تالبوت».

راقبت ليا رايلي وهو يقصد المنحدر بخطوات رشيقة. وتنهدت

بحزن وهي تتذكر مناداته لها بالأنسة تالبوت بدل ليا. واعترفت انها كانت تستحق الاذلال والعقاب. لكن ذلك لم يخفف من قساوة العقاب وصرامته والألم الناتج عنه.

ثم تبرجت قليلاً. وسرحت شعرها حتى انسدل مثل ملاءة من حرير براق. وخلعت حذاءها ونفضت منه التراب. وبعد ان خلعت جواربها، قطبت جبينها لمنظر التراب المتجمع بين اصابع رجليها وعلى باطن قدميها الساخنتين والناضحتين بالعرق.

وجذبتها قدر الماء الساخن القريبة منها وقد طفت على سطحها فقاعات من معجون الحلاقة. وترددت للحظة فقط. ولكنها قررت انه من الحمق ارتداء جوارب نظيفة من دون غسل رجليها.

وسارت على الأرض الوعرة بقدميها العاريتين لتحضر المنديل الذي مدده رايلي على احدى الشجيرات ليجف. ثم بدأت تغسل قدميها وتمسحها بالمنديل مستعينة بلوح صابون صغير اخرجته من حقيبة زينتها. ثم ازالت الصابون عنها بالماء الذي صبته بالقنينة، وجففتها بطرف بلوزتها المجعدة، التي سبق ان خلعتها. وصبت الماء القذر على الرمال.

ورأت ان غسل قدميها انعشها كما ينعشها الاستحمام. فقررت ان تبقى ساعة او اكثر في حوض الاستحمام فور انقاذهما. وارتدت جواربها النظيفة بعد ان نفضت التراب عن حذائها مجدداً.

وما كادت ليا تنتعل حذاءها، حتى اكبت تصغي بانتباه للتعرف على مصدر الصوت. ولم تستطع تحديد اتجاه الصوت الذي بدأ يتعالى.

ولما ادركت انه ازيز محرك طائرة، اتسعت حدقتاها. ونظرت فوراً الى السماء. فدهشت لرؤية طائرة قريبة من موقعهما تطير باتجاهها. ولعل نسيم الشرق ابعد صوتها فلم تسمعه ليا الا عندما اقتربت منها.

ونادت رايلي بحماسة وهي تمسك القنينة لتصب ما فيها من الماء

على النار. ولم يجر منها الا القليل من الماء الذي بعث دخاناً طفيفاً ادهش ليا لقلته.

«ايتها المجنونة، لماذا استعملت كل المياه لغسل قدميك؟».

واقترب هدير الطائرة ليجذب بصر ليا الى السماء. واوحى لها تحليق الطائرة باتجاه الشرق بان افراد طاقمها لم يشاهدوا موقعهما وصاحت وهي تركض خلف ظل الطائرة ملوحة ذراعيها بعصبية:

«انا هنا. انا هنا. هنا على الأرض».

هبط رايلي المنحدر بسرعة محدثاً انهياراً بسيطاً. وصاح:

«صبي الماء على النار».

وتسمرت ليا في مكانها وهي تجيب:

«لا يوجد ماء. فقد استعملته كله».

تشنجت ملامحه لدى سماعه قولها. غير انه لم ينبس ببنت شفة. وتابع سيره الرشيق حتى بلغ الأرض عند اسفل المنحدر حيث توقف والتقط البطانية الحمراء التي تدثرا بها في الليلتين الماضيتين.

وامر ليا:

«لوحي بها في الهواء رافعة الجانب المغطى بالالومينيوم الى فوق».

واطاعت بينما احست رايلي يجثم بجانب حقيبة زينتها فيما راقبت الطائرة وهي تبتعد عنهما. ثم وقف رايلي بجانبها وهو يمسك المرآة المستطيلة التي انتزعها من غطاء حقيبة زينتها.

وفيما لوحت ليا بالبطانية حتى كادت ذراعها تنقطع. لوح رايلي المرآة في الشمس محاولا تركيز الضوء البراق على الطائرة التي لم تخفف من سرعتها. وصاحت ليا:

«عودي».

وتدلت ذراعها بلا حراك على جنبها اذ عجزت عن رفع البطانية مرة جديدة فيما استلقت ذراعها الجريحة على خصرها.

وغابت الطائرة عن الانظار. واندفعت بين اهداب ليا دمعة تبعتها ثانية وثالثة حتى سال الدمع على وجنتيها وبلل شفتيها. وقالت

www.rewity.com/vb

بغصّة:

«انهم لم يرونا».

وارتعشت ذقنها فيما نظرت الى رايلي وقد وقف وقفة غضب واشمئزاز ملقياً يديه على وركيه ينظر في الفراغ حيث كانت الطائرة تحلق. ثم استدار والتقت عيناه الخضراوان الغاضبتان بعينيها لحظة قبل ان يرجع الى موضع النار.

تبعته ليا وهي ما تزال تمسك البطانية باصابعها وتجرها خلفها على الأرض. وقالت:

«آسفة يا رايلي. الحق علي لأني استعملت كل المخزون لغسل قدمي. وقد اضعته من دون تفكير».

فردد بصوت جاف:

«رجليك؟».

ونطقت نظرته المعبرة بما لم تقله كلماته.

دافعت عن نفسها بحجة واهية:

«كانت قدماي متسختين».

ثم القى رايلي قطع الحطب القليلة الباقية على النار. وكان صمته ابلغ من اي ادانة شفوية. واخيراً لم يعد بوسع ليا ان تحتمل فانفجرت غاضبة كالبركان. وصرخت:

«لماذا لا تقول شيئاً؟ لماذا لا تصرخ في وجهي وتقول كم كان عملك اخرق. فنحن الاثنين نعرف انه اخرق. لماذا لا تقول ذلك؟ اغضب او افعل اي شيء، ولا تستمر في وضع الحطب على النار كأن شيئاً لم يكن».

وقف رايلي ومسح يديه ببنطاله. وقال بهدوء وقد ارتسمت على فمه تكشيرة حادة، وغلف وجهه قناع من البرودة:

«لن يجدي ذلك نفعاً. فسأذهب الآن لملء القنينة وسأعود بها مع بعض الحطب».

ولما اختفى وراء المنحدر، سقطت على ركبتيها خائرة القوى

يائسة. وارخت قبضتها عن البطانية. فتمددت بجانبها وقد تلألأ الجانب المغطى بالالومينيوم تحت اشعة الشمس. وتمنت لو انها تدفن رأسها بين ذراعيها وتبكي ندماً على حماقتها. ولكنها لم تجرؤ لأنها توقعت عودة الطائرة. ولم ترد ان تغافلها كما فعلت في المرة الأولى.

حبست دموعها فيما جففت وجنتيها وحدقت الى السماء. واجهدت اذنيها في محاولة لسماع ازيز الطائرة، لكنها لم تسمع سوى صمت الصحراء الجبلية الى ان اعلنت دحرجة الحجارة عودة رايلي.

وبعد ان القى رايلي حمله من الحطب على بعد بضعة امتار من النار، اعطى القنينة لليا قائلاً:

«اشربي».

نظرت الى القنينة كأنها سم. وشعرت بالحرارة والتعب والظمأ. لكنها لم ترغب في جرعة من الماء الذي قد ينقذهما مهما بلغ ظمأها. ورفضت بهدوء وصرامة:

«كلا».

ارتسم الغيظ على شفتي رايلي وهو يقول:

«جرعة واحدة لن تضر في شيء. اشربي».

اطاعت مرغمة. ورشفت بعض الماء. ثم غرغرت به فمها قبل ان تبتلعه. وبللت شفتيها بلسانها فيما اعادت القنينة الى رايلي. ادركت انه يراقبها. الا انها لم تستطع ان تنظر في عينيه الفاحصتين.

ووضع رايلي القنينة في ظل كومة الحطب. ومن دون ان يتكلم مشى ليلتقط البطانية الملقاة على الأرض بجانب ليا. وابتسمت وهي تفكر بما سيفعله بالبطانية. ثم رأته يقيم المظلة.

واتسعت ابتسامتها وهي تقول:

«الن نحتاج البطانية لنلوح بها للطائرة؟».

لم يتوقف رايلي عن عمله وهو يجيب:

«من السهل ازالها عن المظلة في ثوان. لكنها ستؤدي خدمة اعظم وتقينا من الشمس الى حين عودة الطائرة».

ونظرت ليا الى النار المتأججة وقد انبعث منها دخان رقيق اختفى في هواء الصحراء النقي بسرعة فاسحاً المجال امام موجات اللهب بالتراقص فوق دائرة النار. وقالت ليا بهدوء: «لقد حلقت الطائرة فوقنا مباشرة تقريباً ولم اسمع هديرها الا عندما صارت على مقربة مني. فلماذا لم يقدروا ان يشاهدونا؟».

قال رايلي وهو يثبت آخر ركن من المظلة:

«هذا يرجع الى سببين. الأول هو طيران الطائرة باتجاه معاكس للشمس مما اعاق رؤية افراد الطاقم. اما السبب الثاني، فيتلخص في بحثهم عن حطام طائرة».

ثم اشار برأسه الى المنحدر:

«وطائرتنا مدفونة تحت هذا الركام من الحجارة».

وتنهدت وهي تنظر الى السماء:

«هذا كله خطأي. لقد كان بالامكان ان يروا اشارة الدخان».

علّق رايلي بصرامة:

«كفي عن الشعور بالذنب».

اعترضت ليا:

«لا اشعر بالذنب».

«بلى. انك تشعرين بالذنب علماً بأن ذلك لن يغيّر شيئاً».

اجابت:

«انا لم اقل سينفع».

«اذن لنكف عن ذكر ما حدث. ولنستعد للقاء الطائرة اذا عادت».

وتوقفت ليا عند امره.

ودفعتها لهجته الى سؤاله:

«هل تظن انها سترجع؟».

اجاب: بلهجة لم تعبر عما يدور في خلده:

«لست ادري».

٥- قرار الرحيل

غطّت السماء غيمة بيضاء احاطتها الشمس بهالة ذهبية وارسلت من ورائها اشعتها لتلوّح الارض المغطاة بنبات الناعمة.

وبلّل العرق قميص ليا، فالتصقت بجلدها. وتعاظم الم ذراعها خصوصاً بعد ان اجهدت نفسها بتلويح البطانية للطائرة في الصباح.

وضغطت بيدها اليمنى على جبهتها لبضع ثوان. ثم رفعت رأسها وهي تدفع شعرها عن وجهها بعيداً بيدها. ومكثت ليا ورايلي النهار بطوله ينتظران الطائرة التي لم تعد.

ورفعت عينيها الحائرتين الى رايلي الذي شرد بافكاره بعيداً وهو يراقب السماء بدقة. وقالت بنبرة تنمّ عن الخوف الذي تملّكها طول النهار:

«هل تظن ان بحثهم عنا سيستمر لفترة طويلة؟».

ولمحت الغربة في عينيه الخضراوين اللطيفتين وهو ينظر اليها مجيباً:

«من الصعب التكهّن بشيء. فتنظيم حملة استطلاع واسعة امر يتطلب كثيراً من المال والوقت. والارجح انهم سيبحثون عنا مدة يومين او ثلاثة قبل ان يطلبوا من طياريهم المحليين التفتيش عن اثر الحطام فيما يرسلون طائرة استطلاع او اثنتين».

كانت معرفة الحقيقة امراً محزناً خصوصاً ان احتمال ضياعها بضعة ايام اخرى في الصحراء وارد. وادركت ليا انها لن تستطيع التفكير في هذا الامر من دون ان تلوم نفسها، وان رايلي اصاب اذ قال ان ذلك لن يحل المشكلة.

لم تشعر برغبة لتناول الطعام. ولولا حاجتها لشيء منه لما مضغت بضع قطع من اللحم المقدد ببرودة على الغداء. وتلك الحاجة هي

نفسها التي دفعتها الى طهي وجبة العشاء، العمل الذي انساها ورطتها مؤقتاً.

بعد مرور ثلاثة ايام على ضياعها، قلت انواع المأكولات المجففة في حوزتها على نحو كبير. ونقبت بين المعلبات القليلة عن صنف شهي نسبياً. اثناء ذلك لمحت بطرف عينيها رابلي وقد جثم قرب الحقائب. ودفعها فضولها للاستدارة قليلا لترى ماذا كان يفعل. فدهشت اذ رأته فتح حقيبتها واخذ يقلب محتوياتها.

فصرخت وهي تسرع نحوه:

«ماذا تظن نفسك تفعل وانت تقلب حقيبتي؟ هذه امتعتي ولا يحق لك ان تنقب فيها».

لم يلتفت اليها، بل وضع كومة من ملابسها الداخلية جانباً. ثم اخذ يفحص البستها الخارجية. وحاولت ان تنتزع ملابسها من يده وتكومها في الحقيبة. لكنه رفعها وطرحها بعيداً بسرعة لم تقدر معها ان توقفه عن عمله. وصاحت:

«هل سمعت ما قلته لك؟».

اجابها رابلي اخيراً:

«اني لا اسرق شيئاً. فانا ابحث عن ملابس تناسبك خلال السير».

قالت ليا بمرارة وهي تحاول ان تطوي الملابس التي طرحها:

«بامكانك ان تسألني اذ ليس من واجبك ان تقلب امتعتي».

وأمسك بنطالا حنطي اللون وقميصاً طويلة الاكمام بيضاء نقشت عليها خطوط منحرفة ومتقاطعة.

ثم قال:

«سبق ان رأيت ملابس نسائية. فلا داعي لارتباكك وخجلك. وهذه الملابس قد تنفع».

جلست ليا القرفصاء وهي تتطلع الى وجه رابلي الهادىء بارتباك. ثم التمع في ذاكرتها بعض من اقواله السابقة، فقالت وهي تعبس:

«ستنفع؟ لاي شيء؟ وماذا قصدت حين قلت: ملائم للسير؟».

اعلن رابلي بهدوء:

«سنرحل».

ثم استدار الى حقيبة زينتها. وسألها وهو يفتح الغطاء:

«هل لديك معجون لدهن الوجه؟».

فانحنت ورفعت القاروة وهي تقول:

«اجل، لماذا تريد معجوناً لدهن الوجه؟».

لم يعد لجوابه اهمية عندما ادركت معنى اعلانه السابق. فسألت:

«كيف سنرحل؟».

«سيراً على الاقدام بالطبع».

ثم نظر اليها نظرة سريعة وهو يفتح القارورة وينتزع بعض المعجون بسبابته. ثم فرك ابهامه بسبابته بمهارة وهو يقول:

«سيقي هذا المعجون وجهك الشاحب من الشمس».

قالت ليا وهي تحدق الى القفر الجبلي الشاسع:

«سيراً على الاقدام؟ لا شك انك جننت».

قال رابلي وهو يترك حقيبة الزينة ليفتح حقيبته:

«البقاء هنا جنون اعظم».

علقت ليا بغضب:

«اعرف انك تظنني مجنونة. لكنني اعلم ايضاً انك عندما تتوه ويبدأ الناس بالبحث عنك، عليك التزام مكان واحد والامتناع عن التجوّل. ونحن لا نكاد نعرف موقعنا».

واخرج قميصين متسخين من حقيبته. ثم اغلقها. وقال:

«استطيع تحديد موقعنا على نحو تقريبي».

ثم نهض ومشى. فتبعته ليا وكأنها ظلّه. وتمتمت:

«هذا رائع. هل تعني اننا في مكان ما من نيفادا؟ لقد كان بامكاني ان اخمّن ذلك».

توقف رابلي فجأة حتى كادت ليا تصطدم بظهره العريض. ونظر

اليها نظرة فولاذية.

وقال:

«نحن موجودان على الجانب الشرقي من سلسلة جبال مونيتر. وهذا يعني اننا نبعد حوالى مئة كيلومتر عن اقرب مدينة وذلك في خط مستقيم، او ١٤٥ كيلومتراً سيراً على الاقدام».

ونظرت الى الصحراء المترامية الاطراف، فخيّل اليها انه من المستحيل وجودهما في بقعة قريبة من المدينة. وقالت:

«ربما متنا في الطريق».

«ربما متنا هنا».

توقفت لتقول:

«اجل، ولكنّ بقاءنا هنا يعطينا املا بالخلاص، املا بالتلويح لطائرة الاستطلاع التالية».

وتمعّن رابلي في قسمات وجهها الجموحة والتي غلب عليها الذعر. وقال:

«ولكن، متى ستمرّ الطائرة التالية؟ غداً؟ بعد غد؟ بعد ثلاثة ايام؟ متى؟».

رفعت يدها كأنها تطرد شبح السؤال عنها، وقالت:

«لست ادري. ولكنها سوف تأتي لان والدي ولوني لن يوقفا البحث قبل العثور عليّ. انا اعرف انهما لن يفعلا».

«انا لا اخالفك الرأي. غير ان الوقت هو العامل الحاسم».

«لماذا؟».

اجاب بصوت منخفض وهدوء قصد بهما الايحاء لها بخطورة الوضع:

«لانه في خلال ثلاثة او اربعة ايام لن يبقى عندنا طعام او ماء او قوة على الخروج من هنا».

وتطلعت بدهشة الى اعلى المنحدر حيث قال انه وجد الماء، وقالت:

«ولكن...».

اوضح رابلي:

«لقد بدأ الماء الذي عثرت عليه في الحوض الصخري يجف ويتبخر بفعل الحر».

لقد قدّرت ليا بحماقة ان معينهما من الماء لن ينضب. ونسيت قول رابلي ان الماء في الارض الصحراوية نفيس ونادر.

وانتابها شعور عارم بالضعف والعجز، وقالت:

«كان عليك ان تخبرني».

«ربما».

واظهر عدم اكتراث بمناقشة ما جرى. وهذا لا يختلف عن موقفه عندما علم ان ليا استعملت كل الماء لغسل قدميها. فبالنسبة اليه ما حدث قد حدث، ولا فائدة من مناقشة الاسباب.

لم تقنع ليا بالفكرة برغم ادراكها سلامة رأي رابلي:

«لو خرجنا طلباً للنجدة، فكيف نعرف اي طريق نسلك؟».

«سنذهب جنوباً».

عارضت بعناد:

«لماذا جنوباً، وليس غرباً؟ ونحن طرنا شرقاً عندما انحرفنا عن خط سيرنا. ومن المؤكد ان علينا العودة من حيث اتينا».

تنفس رابلي عميقاً وكان صبره على اسئلتها بدأ ينفد:

«معروف ان سلاسل الجبال هذه تمتدّ من الشمال الى الجنوب. ولا ادري كم من السلاسل يجب ان نجتاز قبل ان نصل الى طريق عام او مدينة. واكتشاف مسالك سهلة لاجتياز السلاسل يكلف وقتاً كثيراً. فاذا انطلقنا شمالا، حيث ارى جبالا عديدة، وجب ان نمشي على القمم اما في الجنوب، فيمتد واد يسهل فيه السير وتزداد فيه السرعة ويحلو الوقت».

قالت ليا:

«من الممكن ان نتوه ايضاً».

اكّد لها بصوت جاد:

«لن اتوه».

واغاظها اعتداده بنفسه اذ بدا واثقاً كل الثقة بانه على صواب. ولما وجدت ان جميع حججها لم تقنعه، لجأت الى السخرية.

«يا لي من حمقاء. فلقد نسيت ان في عروقك دماً هندياً. وطبعاً لن تتوه».

تجهمت ملامحه وقال:

«انك على حق».

فادركت ان سخريتها لم تغضبه. فاطبقت شفتيها واطلقت زفرة غاضبة وهي تنظر الى البعيد:

«لا يهمني ما تقول عني. فانا اظن ان ليس علينا مغادرة المكان لان طائرات الاستطلاع قد تعثر علينا في اي وقت».

قال رايلي بهدوء:

«اننا مغادرون غداً صباحاً مع خيوط الفجر الاولى».

وارجعت ليا رأسها الى الوراء بتحدّ، والتقت نظرتها نظرته الباردة وهي تقول:

«بامكانك ان ترحل وحيداً. لكنني سابقى هنا».

اجاب بغضب:

«لا، لن تبقي».

ردت بشيء من الوقاحة:

«وكيف ستمنعني؟ لا اظن انك قادر على حملي طول الطريق. ومن المؤكد اني لن اذهب معك طوعاً. وهذا يضعنا في مأزق، اليس كذلك؟ انا لا اريد الذهاب. وانت لن ترحل من دوني، وهذا يعني اننا سنبقى هنا».

قال وقد باتت نظرته متكاسلة فاحصة:

«انك ترتكبين خطأ جسيماً».

ردت وقد بدت امارات الاعتداد بالنفس عليها هي هذه المرة:

«لا اظن ذلك».

اطرق قليلاً، ثم قال:

«بامكانك ان تبقي هنا، فانا سارحل في الصباح بمفردي».

واتسعت حدقتاها مستغربة:

«ماذا؟».

قال رايلي وقد اشرقت عيناه بالرضى:

«لعل هذا هو الحل الانسب. فبامكاني ان اسرع السير من دونك فيما تبقين هنا لتلوحي للطائرة اذا عادت. واذا لم تعد، فاني اكون في غضون ثلاثة ايام قد وصلت الى حيث يمكنني طلب النجدة وارسل اليك احداً ينقذك».

علقت ليا وكأنها لا تصدق:

«اتعني انك ستتركني... هنا... وحدي؟».

«هذا هو الحل المنطقي الذي يمكننا من الحصول على المساعدة من مصدرين».

ثم توقف متظاهراً بانه يتعمق في دراسة الفكرة. واضاف:

«سأحمل القنينة معي بينما تحضرين الماء في القدر. وسأترك لك الأطعمة المجففة لأنه لن يكون معي ماء اطهيها به. غير انني سآخذ كل لحم البقر المقدد».

وهزّ كتفيه بلا مبالاة وهو يستدير مبتعداً:

«اذن، يجب ان تبقي هنا».

وعلت شفتيه ابتسامة استغراب كأنه لم يفهم سبب شكها في كلامه. وقال ببساطة:

«اجل».

فاقسمت:

«والله، انك ترتكب خطأ جسيماً اذا ظننت انني سابقى هنا واتركك ترحل وحيداً. فان ذهبت سأذهب معك».

واضافت مصرة:

www.rewity.com/vb

«سأذهب معك. ولن يمكنك ان تجبرني على البقاء هنا. فانا لا اكترث اذا كان رأيي عملياً ام لا».

وما كادت تنهي جملتها الاخيرة، حتى عضت على شفتها بغضب اذ تذكرت انها لدقائق معدودة كانت تصرّ انه لن يقدر ان يصطحبها معه في الصباح.

اجاب وهو يتشدق بكلامه:

«اذا كان هذا رأيك، فاظن انك سترافقيني».

وفيما استدار مبتعداً، لمحت ليا المكر في عينيه. وهمست كأنها تتهمه:

«لقد خدعتني. فانت لم تقصد ان تتركني هنا بمفردي».

فوقف وقد غمر جبينه الرضى. وحدق الى وجهها وهو يقول ساخراً وممازحاً:

«هل ظننت حقاً انني اذهب واخلف زوجتي ورائي؟».

فافلتت ذراعه، ورفعت راحة يدها المفتوحة لتصفعه على فمه. ولم يحاول رابلي ان يلتقط يدها، بل تراجع الى الوراء. فاخطأت هدفها.

ولما مرّت يدها بقرب وجهه، امسك ساعدها وهو يضحك من ثورتها. وحاولت ليا ان تفلت يدها من قبضته الفولاذية. الا ان ذراعها اليسرى لم تسعفها لشدة المها. فامسكها بسهولة. وقربتها محاولاتها للتخلص منه اكثر الى صدره الصلب. فضحك ضحكة عميقة. وقالت وهي ترجع رأسها الى الوراء لتنظر اليه ببرودة:

«لا اجد شيئاً مضحكاً».

غابت المتعة من عينيه وهو يتطلع اليها من فوق. واذهلها البريق الذي اضاء عينيه، فتوقفت عن محاولة التحرر من قبضته. وزاد خفقان قلبها عندما لمحته يتأمل ثغرها.

وفرك رسغها بابهامه بينما دفع الشعر عن وجهها بهدوء قبل ان يحتضن عنقها بيده. ثم تعانقا عناقاً قصيراً...

وفيما تقطعت زفراتها، انفتحت عيناها جزئياً لتنظر اليه بتردد.

فالفت عينيه تلتمعان لطفاً ومودة رغم القناع الذي غطاهما. وقال رابلي بهدوء:

«ليا، لقد كنا معاً في كل ما حدث، وسنرحل معاً صباح غد».

واطرقت وهي تقول:

«اجل»!

ورفع يده عن عنقها بينما مرّر اصبعه بلطف على وجنتها. ولم تدرك ليا اذا كان يقصد بمعانقته اياها اقناعها بالموافقة من دون جدال.

ومشى رابلي خطوة الى الامام. ومد يده الى جيب قميصه، فاخرج علبة تبغ سحب منها سيكارتين اشعلهما الواحدة تلو الاخرى. واعطى لليا واحدة وهو يقول مبتسماً:

«لندخن احتفالاً بالسلام كالهنود».

بادلته ليا الابتسام وهي تهز رأسها بسخرية متمنية لو تشعر مثله بالهدوء بعد العناق.

كانت يدها لا تزال ترتعش ارتعاشة بسيطة كشفت عن اضطرابها عندما اعطاها السيكارة.

وارتاحت لقرار رحيلهما في صباح اليوم التالي اذ خشيت الوقوع في التجربة اذا استمرّا في العيش بضعة ايام اخرى في المخيّم، واذا تعانقا مرات اخرى. ولا شك ان تعب الرحلة سيضعف احساسها بوجود رفيق مكتمل الرجولة.

ارتفعت بينهما سحابة رقيقة من دخان سيكارة رابلي الذي قال:

«عندما ننتهي من التدخين يمكن ان تتابعي تهيئة العشاء فيما انظم الامتعة التي سنأخذها معنا صباح غد».

حفلت ساعات النهار الباقية بالنشاط. ولم يكد القمر غير المكتمل يظهر، حتى اعلن رابلي ضرورة ذهابهما الى الفراش باكراً استعداداً للرحلة الطويلة امامهما.

وعندما استلقيا، استغربت ليا عدم مداعبة رابلي لها كما توقعت. وتساءلت اي نوع من الرجال هو. فهو لم يعانقها سوى مرة في ثلاثة

أيام رغم جاذبيتها.

ومع انها لم تعاشر رجالاً اشراراً، فان ايّاً من اصدقائها كان سينتهز الفرصة، خصوصاً ان مثل هذه الظروف تسهّل عليه تحقيق رغبته. اما رايلي، فظلّ هادئاً برغم عزلتها في الصحراء الجبلية.

لم يتحفظ رايلي في مراودتها عن نفسها بسبب قلة خبرته. فالطريقة التي عانقها بها تدحض هذا الرأي، وهي تذكر انها لمحت اعجاباً في عينيه عندما التقيا في قاعة الانتظار في شركة الطيران، وان تجاوبها مع رغبته في العناق اظهر اهتمامها به. اذن، لماذا لم يلب رغبتها؟

تنهدت ليا وهي تلقي ذراعها الجريحة على صدره. وشعرت بسخافتها اذ كان عليها ان تفرح لانها لا تصد مداعباته المتتالية عوض التمني بان يداعبها ولو مرة.

وامرت ليا نفسها بالخلود الى الراحة. فاغمضت جفنيها وسرعان ما غلبها النعاس نظراً الى تقطّع نومها في الليلة الماضية. واحست باصابع قوية تزيح الشعر عن جانبي رأسها، وسمعت رايلي يهتف باضرار:

«قومي، لقد حان الوقت».

رفع رايلي الغطاء عنها. فارتجفت ليا من البرد القارس. واقتربت من كتف رايلي طلباً للدفء فضغطت الاصابع نفسها على ذقنها. وقال رايلي ممازحاً:

«قلت ان الوقت حان للنهوض».

وتأوهت معترضة فيما نظرت خلال اهدابها الى العالم الخارجي حيث ساد الصمت الذي قطعه صوت النار. وشاهدت الوف النجوم تشع بوهج عظيم في حلكة الليل. فقالت متظلمة:

«ما زال الليل مخيماً».

فطوق رايلي خصرها بذراعه ورفعها فيما حاولت الجلوس. وقال:

«هيا، فان الصباح سيطلع قريباً».

واطلقت ليا اعتراضها وهي تتثاءب:

«هل تريدنا حقاً ان ننهض في هذه الساعة؟».

وامرها رايلي وهو يرفعها عن الفراش:

«اوشك ان يطلع الصباح. وعليك ان تغلي الماء حتى نتناول وجبة الشوفان السريعة الباقية».

وتمتمت:

«من يشعر بالجوع؟».

«اذا لم تتناولي شيئاً الآن، فانك ستشعرين بالجوع عندما نهبط الجبل».

واقرّت ليا في سرها انه كان مصيباً. لكنها لم ترغب في الطعام انما في بضع ساعات اخرى من النوم. ورغم ذلك امسكت القنينة وصبت بعض الماء في القدر المعدني، وثبتتها على الصخور قرب النار لتغلي.

وشق الاجواء صوت عواء ثعلب بعيد. وشدّت الصيحة الغريبة نظر ليا، التي دنت من النار التماساً للدفء، الى الارض. ورأت القمر قد غمر القفر باشعته الفضية.

وبدأت فقاعات البخار تتشكل في قدر الماء مما ابعدها عن النار سعياً في اثر الشوفان والطبقين المعدنيين والملعقتين الخشبيتين. ولمحت رايلي يثني البطانية الصلبة في شكل مربع صغير، ويضيفها الى بضع امتعة صغيرة ليحملاها معهما.

ولما غلا الماء، اضافت ليا الشوفان اليه وحركته. وكان من الصعب ان تقدر حاجتها الى الماء من دون الاستعانة بفنجان. غير ان الشوفان هذا الصباح لم يكن شديد السيلان او كثير الكتل. فقد اهتدت الى المزيج الملائم مع آخر وجبة.

صبّت بعض الشوفان في طبقها فيما تركت القسم الاكبر لرايلي. ونادت:

«الفطور جاهز».

وبينما هما يتناولان الفطور، لوحت الشفق حمرة خفيفة علامة

بزوغ الفجر. وازاحت الحمرة سواد الليل وهي تتحول شعاعاً ذهبياً. ولما اتمت ليا غسل الصحون بالرمل والماء، كانت السماء قد اتشحت باشعة الشمس التي انتصف شروقها. فاعطى رابلي القنينة، قائلا:

«اشربي كل ما استطعت حتى اذهب واملأ القنينة».

وتوقفت بعد ان تناولت بضع جرعات:

«كيف نتدبر امر الماء في الطريق فهذه القنينة لا تتسع للكثير منه».

وقال وهو ينتظر ان تتابع شربها:

«سنحاول ملأها. واذا وجدت المياه في ارض الصحراء، فاغلب الظن انها تتفجر في اسفل الجبل. وعندما ننحدر الى الوادي سنظل على مقربة من منابعها».

ناولته القنينة بعد ان فرغت من الشرب. وما كاد يغيب وراء الجبل حتى لبست الثياب التي قال بانها صالحة للسير الطويل. وكانت لا تزال تضع ذيل قميصها تحت بنطالها عندما عاد.

قوّمت عيناه الخضراوان منظرها بسرعة. وقال:

«هل عندك قبعة؟».

وعلا فمه عبوس خفيف عندما هزت رأسها سلباً. وسأل:

«وشاح؟».

«اجل».

ثم نقبت في حقيبتها حتى عثرت على الوشاح الحريري الذهبي والبني واعطته اياه.

تفحص رابلي الوشاح برهة. وقال:

«انه نافع. ضعيه حول رأسك كالعمامة. فهو سيقي رأسك من لفح الشمس على الاقل».

نفذت ليا الامر بصعوبة نظراً للألم الشديد في ذراعها. وقالت:

«لا ارى اي نفع لهذا الوشاح».

وأجاب بلهجة جافة:

«لو احرقت الشمس رأسك لما كنت تقولين ذلك؟».

فسألت:

«وماذا عن رأسك؟».

ونظرت اليه لتجده يلف رأسه الفاحم السواد بمنديل ازرق كبير. وفاقت لفته لفتها دقة وتنظيماً. ولما انتهى من عمله اصبح بامكان ليا ان تلاحظ الخصال التي ورثها عن اجداده الهنود كفطرة النبالة القاسية التي برزت على نحو لم يسبق له مثيل.

وفتح قارورة المعجون البارد، وقدمها لها قائلا:

«ادهني وجهك بطبقة كثيفة».

غرفت ليا مقداراً كبيراً فيما تساءلت:

«لماذا؟».

وأجاب بتأن وهو يقلد عملها:

«ليقي وجهك من لفح الشمس».

وبدا منظر المعجون الابيض على جلد رابلي الاسمر غريباً. فداعبته:

«متى كان يحتاج الهنود الى ما يقيهم حرّ الشمس؟».

واجاب رابلي مبتسماً:

«كل الناس بحاجة الى ما يقيهم من الشمس حتى الهنود. ومعروف ان افراد قبيلة من قبائل هنود السهول كانوا يمسحون اجسامهم بزيت عباد الشمس للغرض نفسه».

وراقب رابلي ليا وهي تدهن وجهها بالمعجون. وقال:

«انفك محمّر قليلا. ولو كنت مكانك لكثفت طبقة المعجون عليه لزيادة درجة الوقاية».

وتألقت ملامحه الدقيقة في ضوء الصباح كأنه تمثال بني. وحيث لم يكن هناك شيء تمسح به ليا المعجون الزائد عن يديها، حذت حذو رابلي، فمرغتهما ببنطالها. وسأل رابلي:

«هل تحتاجين اي شيء آخر من حقائبك؟».

«كلا».

«اذن، سأضع كل الحقائب فوق المنحدر الصخري واعود لنحمل امتعتنا ونرحل».

وبينما اتجه الى المنحدر حيث دفنت الطائرة، لمست ليا محيط الجرح في ذراعها اليسرى. واحست به يحرقها وكأن سكيناً حامياً ادخلت فيه. وكان الالم قد وصل الى كوعها. ومع ذلك لم تحس بتورّم في ذراعها. وفكّرت اذا كان لا بدّ ان تطلب من رابلي فحص الجرح.

وحين تذكرت تنبيهه اياها الى قلة الضمادات بالامس، ورغبته في الانطلاق باكرا للاستفادة من الظلال وطراوتها، اقلعت عن الطلب اليه. وواضح ان الجرح القبيح كان في طور الشفاء.

رجع رابلي الى موقعهما بخطوات رشيقة وهو يحدّق اليها قائلا:

«هل انت مستعدة لحمل الامتعة؟».

هزّت ليا كتفها:

«اجل».

وكان قد جعل من قميصه حزمتين غريبتين توضعان على الكتف. وشدّ اخفهما وزناً الى ظهر ليا. وكانت تحوي البطانية وادوات الطهي. وحمل هو اثقلهما وفيها صندوق الاسعافات الاولية وصندوق الاطعمة والفانوس، ثم اعطى ليا احد عمودي المظلة قائلا:

«خذي».

«ماذا سأفعل به؟ هل اطرد به الافاعي من طريقي؟».

قال وهو يتجه الى النار ليذر الرماد بالعصا الاخرى ويضع الرمل والحصى فوق الجمر:

«استعمليه عصا للسير حتى يساعدك في المنحدرات الجبلية الصعبة. هل انت مستعدة؟».

رفعت الحزمة الى كتفيها لتستقرّ في وضع اشدّ ملاءمة وهي تقول ضاحكة:

«اظن ذلك. فانا اشعر الآن اني مثل امرأة هندية تحمل طفلها على ظهرها».

وضحك رابلي ضحكة عذبة فيما اشرقت عيناه اشراقة محيرة.

«لننطلق اذن ايتها المرأة الهندية».

اشارت ليا عليه بعصاها ان يتقدم المسيرة. فانطلق بخطوات رشيقة يسهل معها اللحاق به.

اخذت قمة الجبل بالانحدار حيث اندفع امامهما ارنب هزيل، وحيتهما سُحَلَة تستحم في شمس الصباح الساطعة ملوحة بلسانها.

٦- الحمى توقف المسيرة

تصبب العرق جداول من عنق ليا الى صدرها. وقرّحت رباطات الحزمة الغريبة كتفيها مما زاد من انزعاجها وألمها.

واوشك الظهر ان يحل فيما اقتربت الشمس اللاذعة من كبد السماء، وارسلت اشعتها المحرقة الى الأرض. وتوقفت ليا لتلتقط انفاسها وقد استندت بثقل الى العصا. واحست الألم في مؤخرة رجليها يزداد ازاء الانحدار السحيق امامها. طوال فترة ما قبل الظهر تعرجا في سيرهما وهما ينحدران. وكان لا بد ان ينحدرا مسافة طويلة ايضاً. فصاحت بغضب:

«قل لي بحق السماء كم هي المسافة امامنا؟».

وقف رابلي على بعد بضعة امتار منها. ومسح العرق عن وجهه وهو يحول عينيه متجنباً الشمس ناظراً اليها:

«المسافات خادعة ومضلة في الأرض المفتوحة».

تمتمت:

«هل تقول هذا لي؟».

«هل تريدين ان ترتاحي هنا، ام يمكنك الانتظار حتى تبلغ السفح؟».

تساءلت ليا وقد انهكها السير:

«متى يكون ذلك. . .؟ السنة المقبلة؟ متى استرحنا آخر مرة؟».

منذ انطلقا كانا يستريحان مدة عشر دقائق كل ساعة. فأجاب رابلي:

«منذ عشرين دقيقة تقريباً».

خيل الى ليا ان تلك الدقائق كانت اطول من سنة. لكنها صرفت على اسنانها، واندفعت معتمدة على عكازها وهي تقول:

«هيا بنا ننحدر».

واستغربت عدم انحدارهما جلوساً على اكفالهما. فالسفح شديد الانحدار. الا ان رابلي تعرج في سيره مضاعفاً المسافة ومخففاً من شدة الانحدار.

وتضاعف الألم في ذراعها اليسرى. وزاد تدليها على جنبها من حدته. فادخلت يدها تحت حزام بنطالها مما ساعدها على تخفيف الأوجاع على رغم ارتباكها في السير على الأرض الصخرية المنبسطة.

واحتكت اطراف حذاءها العليا بعقبيها. فادركت ليا انها سرعان ما ستصاب بقروح تجب معالجتها. ورفعت الحزمة الى اعلى ظهرها. لكنها عادت فسقطت الى الموضع المتقرح، ومشت بثقل وهي تجر قدميها المتهالكتين.

وركزت نظرها على الأرض امام قدميها، رافعة عينيها من حين الى آخر لتتأكد ان رابلي لا يزال يسير امامها. وحاولت ان تتناسى اوجاعها وآلامها وجف حلقها وفمها.

لم يعد الوقت يعني لها شيئاً فهي لا تعرف ان كانت قد سارت ساعة او ساعات قبل ان تنبسط الأرض تحت قدميها وانزل رابلي الحزمة عن كتفه.

«سنرتاح هنا بعض ساعات لنتخلص من حر الظهيرة».

لو كانت ليا قوية وقادرة، لابتهجت بالخبر. لكنها سرعان ما جثمت على ركبتيها وحررت ذراعها اليمنى المتقرحة وذراعها اليسرى الجريح من الحزمة، ووضعتها برفق على الأرض.

وببلادة راقبت رابلي وهو يجرع بعض الماء من القنينة قبل ان يقدمها لها. . . وكان صوت الماء المتدفق بين جنبات فمها رائعاً.

وقدّرت انها تستطيع ان تشرب القنينة باكملها لشدة ظمأها.

غير ان ظمأها ذكرها باهمية الماء، فاكتفت بجرعة واحدة.

فتح رابلي حزمتها ليخرج البطانية. ثم التقط العصا التي القتها ارضا. اشمأزت من نشاطه اذ ظنت ان باستطاعته ان يجتاز عشر قمم

www.rewity.com/vb

من دون ان يتعب. وتنهدت فيما هو ينصب المظلة:

«لماذا لا تبدو متعباً ومنهكاً مثلي؟».

ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يثبت آخر ركن من المظلة. وقال:

«لعل السبب هو انني لا اقضي خمسة ايام في الاسبوع جالساً خلف المكتب. هيا بنا الى الظل الآن».

زحفت ليا الى الظل بفرح، وتمددت على ظهرها. وتمنت ان لا تتحرك ثانية. وسرعان ما انحنى رايلي فوقها وقد التقت عيناهما بشيء من السخرية. ولوح لها بقطعة من لحم البقر المقدد قائلاً:

«هيا. كلي هذه»!

وضعتها جانباً وهي تقول:

«لا اقوى على تناول شيء».

قال بلهجة آمرة وهو يدخل القطعة بين شفتيها المفتوحتين جزئياً:

«كلي».

اطاعت مرغمة اذ تأكدت انه لن يتركها الا بعد ان تأكل. وما ان انتهت من تناول الطعام، حتى تعب فكاها من المضغ. وتنهدت وهي تطبق اجفانها. وما لبثت ان غفت.

شعرت بيد تهز كتفها. ففتحت عينيها لتشاهد رايلي يجلس القرفصاء على يمينها. ورأت الحزمة مربوطة الى ظهره والقنينة في يده. وقال:

«سننطلق الآن. هيا اشربي حتى اشد حزمتك».

رفعت ليا نفسها وهي تطرد السحب السوداء المتلبدة امام عينيها. ثم تناولت جرعة صغيرة من الماء، وردت القنينة اليه. وبينما انزل رايلي المظلة، ضغطت بيدها على جبهتها المشتعلة. وانتظرت انحسار الدوار.

وقالت في نفسها انها مريضة. وشعرت بانتفاخ في ذراعها اليسرى. لكنها رفضت ان يكون ذلك سبب دوارها ورغبتها في التقيؤ. وشعرت ان الألم يدب في كل مفصل من مفاصلها.

وكانت الشمس قد بدأت رحلتها نحو الغروب. الا ان حرها كان شديداً حتى في اماكن الظل. وعزت ليا ذلك الى ما اصابها من حمى وتعب. ووقفت ببطء حتى لا تعيد سرعة الحركة الدوار الى رأسها.

اما رايلي، فكان قد وضع البطانية في الحزمة ثانية. واستعد لشدها الى ظهر ليا مجدداً. وفيما هو يضعها فوق ظهرها، لمس جرحها عرضاً، فصاحت ليا من شدة الألم. وسألها وهو يتفحصها بيقظة وانتباه:

«هل تشعرين بالألم؟».

اجابت وهي تعبس:

«اشعر بألم في كل جسمي».

واعطاها العصا قائلاً:

«هل انت مستعدة لمتابعة السير؟».

فاطرقت. وتقدم رايلي المسيرة ورغم انه مشى ببطء، فإن ليا وجدت صعوبة في اللحاق به. ومع كل خطوة خطتها تعاظم الألم في جسمها. ووقف رايلي مرتين منتظراً ان تلحق به.

وشعرت ان اشعة الشمس تحرق جلدها وتشعل ثيابها حتى تصبب العرق منها واشتد وهنها. ولم تقدر على بلع ريقها لجفاف حلقها. واحست ان استراحة الدقائق العشر بعد الساعة الأولى من المسيرة قصيرة للغاية. ولم تطفىء جرعة الماء ظمأها اذ كان حلقها جافاً كرمل الصحراء. وسمعت صوتاً في داخلها يقول انه لن يكون بوسعها السير مسافة اخرى. لكنها تابعت تقدمها بتصميم مجنون.

وخيل اليها انها تسمع شقيقها لوني يوبخها قائلاً:

«كنت دائماً اقول لك ان لا قدرة للنساء على اللحاق بالرجال».

ورنّ صوته في اعماقها بوضوح جعلها تلوح بيدها امام عينيها لتمنع طيفه من التراقص امامها.

وبادلت نظرة رايلي القلقة بابتسامة. وقالت بصوت اجش لا رغبة في اقناعه انما في اقناع نفسها:

«انني بخير».
قال وهو يعطيها حجراً صغيراً:
«ضعي هذه الحصاة في فمك ليسيل لعابك ويخف ظمأك».
ساعد ذلك على ترطيب فمها وهما ينطلقان من جديد. وسعت ليا جهدها للحاق برايلي برغم ترنحها وتمايلها في السير. وزادت النار المتأججة في داخلها وهنها. وأحالت تركيز نظرها على رايلي وقد اعتبرت كتفيه العريضتين شاطىء الأمان الذي تسعى اليه. ودارت الدنيا امام نظراتها وبدأ رايلي يغيب عن عينيها في فترات الدوران الشديد. وشعرت بالخوف فنادت:
«رايلي».
وكانت صرخة استغاثتها اشبه بهمسة مختنقة زادتها الحصى الموضوعة في فمها اختناقاً وتعثرت، فاستندت بثقل على عكازتها لتستعيد توازنها. وقبل ان تنهار حواسها المصابة بالدوار تحت ضغط الحرارة العالية والعطش الشديد. فصاحت ثانية بيأس.
وانهارت قواها وانثنت ركبتاها. غير ان العصا ساعدتها في الحفاظ على انتصاب قامتها. وبكت وهي تطارد سحب السواد لظنها ان رايلي لم يسمع نداءها. فهي قد تخلفت كثيراً عنه.
وتمايلت العكاز التي تسندها، فبدأت تسقط على مهل. وطوقتها ذراعان قويتان. ومع انها لم تميزه بوضوح، عرفت هاتين الذراعين اللتين امسكتاها اثناء النوم في الليالي الماضية. وتنفست الصعداء وهي تقول:
«رايلي. آسفة لأني لن استطيع مرافقتك بعد الآن».
واسندها الى صدره وهو يطلب اليها:
«لا تتكلمي».
ثم وضع القنينة على شفتيها. غير ان معظم الماء سال على ذقنها لانها لم تستطع ابتلاعه. ثم بدأ يبعد ذؤابات شعرها عن وجهها. وسرعان ما توقف ليلمس وجنتها بيده الخشنة ثم تمتم:

«يا الهي. تكاد الحمى تحرقك».
وما لبث ان نزع الحزمة عن ظهرها وبدأ يفك ازرار بلوزتها.
واصبح الألم غاية في الشدة عندما اخذ يسحب الكم عن جرحها.
وصرخت ليا صرخة حادة فيما تعاظم السواد امام عينيها.
واثناء ذلك سمعته يهمس بحدة:
«ايتها الحمقاء،! لماذا لم تخبريني ان الألم كان شديداً».
تكلمت بتثاقل:
«انه في طور الشفاء».
«انه في طور الشفاء؟ انه ملتهب».
واغشي عليها وهي تتأوه مستسلمة. ثم احست انها تسبح فوق الأرض متكئة على صدر رايلي ومستندة الى ذراعيه القويتين. وعاد اليها وعيها قليلاً، فأدركت ان رايلي كان يحملها.
وعاشت في دنيا من احلام رائعة، اذ استلقت بجانب بركة ماء نظيفة صفحتها مصقولة كالمرآة وقد نما حول ضفافها عشب اخضر كثيف. وامتدت فوقها اغصان اشجار الصفصاف لتحجب اشعة الشمس القرمزية عند الغروب. وكانت اوراق الاغصان اكثر اخضراراً من عيني رايلي. وتصاعد في الفضاء دخان ضئيل. ثم رطبت جبينها المتقد رطوبة قدسية عذبة. واحست بيد ترفعها وتخلع بلوزتها. فتأوهت احتجاجاً على قطع رؤياها الوديعة الرائعة. وطلب رايلي اليها بلطف:
«ابقي قدر الامكان».
انفتحت اجفانها قليلاً. وركزت عينيها على رأس رايلي الفاحم السواد والشبيه بغصن صفصاف كبير. وهمست:
«اني ارى اجمل حلم في حياتي فهناك اشجار وماء وعشب».
قال رايلي وهو ينزع الضماد عن ذراعها ليغسل جرحها الملتهب:
«ليس ما ترينه حلماً. فمن المرجح ان احد الرعيان الباسكيين قد بنى سداً يحقن به ماء النبع ليسقي ماشيته».

وقبل ان يغمى عليها ثانية، قالت في نفسها ان هذا حقيقة.

اختفى العالم الأخضر. فرأت نفسها تتعثر في سيرها بعدما لوحتها الشمس. واعمت اشعتها المتقدة عينيها واحرقت جلدها، ولم تشعر بوهجها يخف.

بللت رطوبة الماء شفتيها الجافتين احياناً. وكان لوني يضع القنينة على فمها تارة مداعباً ممازحاً كما كان يفعل في ايام طفولتها حين كانت رجلاها القصيرتان تعجزان عن اللحاق بخطواته الرشيقة.

وكانت طوراً ترى رايلي يطلب اليها ان تستريح وتهدأ. ولم يفهم انه محكوم عليها ان تسير تحت أشعة الشمس الحارقة. وهكذا تابعت سيرها ضمن اتون من النار الحامية.

ولم يوفر بزوغ القمر لها الراحة. بل احرقتها اشعته الفضية اللاذعة. ولم يبرد الجو في ليل الصحراء كالعادة انما شعرت بالعرق يغلي فوق جلدها. وازدادت حالتها سوءاً مع شروق الشمس. فصرخت من شدة الألم. ولم تجد مفراً من التعرض لحرارتها القاسية. وكانت ملابسها هي مصدر الوقاية الوحيد من السنة اللهيب الحادة. ولكنها لفرط خوفها شعرت بيد تخلعها، وحاولت بكل قوتها ان تمنع ذلك.

واوقف صوت رايلي الثابت بهدوئه الكابوس المزعج:

«ليا، هل تستطيعين ان تسمعي؟».

قالت وهي تبكي لشعورها بانها ليست وحيدة:

«اجل».

وفتحت عينيها لتكتشف انها ما زالت في الواحة الخضراء، وقد انحنى رايلي بقربها وهو عارٍ الى الخصر.

وحالت سمرته الجذابة بينها وبين فقدان الرشد. وقال لها وهو يلفظ كلماته ببطء وهدوء حتى تفهمها رغم هذيان الحمى:

«عليّ ان اخلع ملابسك».

امالت رأسها جانباً لتعترض اذ لم يكن بوسعها السماح له برؤيتها

عارية. فهذا مناقض لكل المبادىء الاخلاقية التي غرسها فيها والداها.

وهمست بصوت تخنقه الحمى:

«كلا، لن تفعل».

قال رايلي بصوت يملأه الاصرار:

«اصغي الي. لا سبب للارتباك والحياء، فأنا هندي. والهنود يعتبرون الاجسام العارية جزءاً من الطبيعة. وعلي الآن ان انزل درجة حرارتك بتغطيسك في ماء النبع البارد».

كانت الحمى مصدر النيران التي التهمت جسمها. وفهمت ليا انها لذلك لم تستطع الافلات من النار المحرقة. ورغم ذلك، ابى حياؤها التسليم بمنطقه. وقالت بشق النفس وهي لا تكاد تقوى على لفظ كلماتها:

«اترك... اترك ثيابي علي».

اجاب رايلي:

«لا يمكن. فالمفروض ان ترتدي ملابس جافة عندما تخرجين من الماء. لا تقاوميني يا ليا. الأجدر بك ان تدخري قوتك لساعة الحاجة».

وظلّ فكرها يقاوم في حين سهّل جسدها عمله. وفي شبه غيبوبة شعرت ليا ان رايلي رفعها بين ذراعيه وحملها الى الماء فيما ارتاح رأسها على كتفه.

ثم انزلها الى الماء حيث غسلتها امواج البركة الباردة من قمة رأسها الى اخمص قدميها. وحالت الذراع القوية التي طوقت خصرها بينها وبين الغرق في ماء البركة المنعش وظللتها اغصان شجرة صفصاف صغيرة ووقتها حر الشمس.

ظنت ليا ان حركة الوقت قد شلت. وادركت اثناء غيبوبتها ان رايلي كان عارياً.

لكن ذلك لم يهمها طالما غمرت المياه الباردة جلدها المتقد.

وتحركت عشوائياً محاولة التخلص من القيد الذي كبلها باحكام. ورغبت ان تدغدغها مياه البركة المنعشة ثانية. وشعرت بيد تلمس صدغها بلطف ثم تستقر على عنقها. ورأت نفسها مستلقية على الأرض بين ذراعي رايلي وقد تدثرا بالبطانية. وهمس في اذنها:

«نامي. انك بحاجة الى النوم بعد ان خفت الحمى».

واسترخت بقربه وهي مغمضة العينين. فتحول دفء جسمه ميناء اميناً تلجأ اليه بعد ان كان آتوناً محرقاً تضطر ان تهرب منه. ونامت من دون ان ترى احلاماً او تصاب بكوابيس.

وايقظها رايلي اثناء النهار ليطعمها بعض الحساء. وسرعان ما عادت الى النوم. وبعد فترة احست به يستلقي قربها.

ولما فتحت عينيها للمرة الثانية، اكتشفت انها كانت تتدثر بالبطانية وحدها وان كرة الشمس قد علت في السماء. وجذب صوت النار المتأججة نظرها الى مركز الأرض الخالية من الاشجار. والفت رايلي قابعاً قرب النار يحرك محتويات القدر!

وفيما ارتدى بنطالاً من قماش جينز، لم يلبس قميصاً على وسطه، فعكست كتفاه وصدره البرونزي موجات ذهبية تحت اشعة الشمس. وفجأة تطلع فوق كتفه وكأنه احس بنظرات تتركز عليه. ولم تذكر ليا انها رأت وجهه البارز المعالم على هذا القدر من الجمال والجاذبية من قبل. وببطء التقت نظراتها. وقال وقد اشرقت في عينيه وعلى فمه ابتسامة:

«مرحباً».

اجابته ليا وهي تشعر بارتباك وحياء لم تعرف سببهما:

«مرحباً».

سألها وهو يصب السائل من القدر في طبق صغير:

«هل انت جائعة؟».

«بعض الشيء».

وحاولت الجلوس، فاكتشفت انها اضعف مما تصورت. وقال وهو

يسير نحوها جذلاً:

«ابقي مستلقية. سأطعمك بنفسي».

افتر ثغرها عن ابتسامة ماكرة وهي تقول:

«هذا عمل الزوجة، اليس كذلك؟».

بادلها الابتسام:

«يضطر الهندي احياناً ان يمارس دور الزوجة عندما تصاب امرأته بالحمى».

خفق قلبها لدى سماع هذه العبارة. ولكن، لا يمكن ان يكون قد قصد المعنى الحرفي اذ كان يجيب على سؤالها بطريقة مازحة. والمؤكد مع ذلك ان القلب يخفق للفكرة.

وضع رايلي الطبق على الأرض. ثم اسند رأسها إلى وسادة صنعها من قميصه واحدى الحزمتين. ثم جلس واضعاً رجلاً فوق رجل وهو يحمل الطبق بيده.

ولما تناولت ليا ملعقة حساء وضعها رايلي على شفتيها، سألت:

«كم سنة نمت؟».

اجاب وهو يدني ملعقة اخرى من فمها:

«ثلاث ليال».

شهقت:

«كل هذه المدة الطويلة؟».

علق ممازحاً:

«لا تتحدثي وانت تتناولين الطعام حتى تنتهي بسرعة».

عجزت ليا عن تناول اكثر من نصف الصحن الصغير. فوضعه رايلي جانباً دون ارغامها على تناول المزيد. وقال وقد امال رأسه جانباً ليحدق اليها متفحصاً:

«كيف هي ذراعك الآن؟».

حركت ذراعها اليسرى بتردد. ثم فحصتها بعناية. ورغم انها لم تنبض بالألم، فكانت تؤلمها. وابتسمت بارتباح. وقالت وهي تهز

رأسها:

«افضل بكثير».

اضاءت عينيه ابتسامة لطيفة انستها حدة عبارته حين قال:

«الأفضل ان اعاينها بنفسي. فأنا لم اعد اثق برأيك».

وبدأت تفك ازرار بلوزتها دون اعتراض. وحين بلغتِ الزر الثالث، تبين لها انها ستكشف عن جسد عار. فاحمرت خجلاً وهي تنظر نظرة عتاب الى رابلي. فسألها وهو يعقد جبينه:

«هل تذكرت اني غسلتك وخلعت ملابسك عندما كنت تهذين من الحمى حتى اتمكن من تغطيسك في البركة؟».

عبثت اصابعها بالازرار من دون ان تفكها او تزررها. وقالت وهي تشيح بنظرها بعيداً:

«اجل. اذكر».

قال موضحاً:

«لقد تقرحت كتفاك من حمل الحزمة. لذلك لم اضع عليك ملابسك الداخلية».

فهمست وهي تحدق الى اصابعها وقد قبضت على مقدم البلوزة:

«آه. لقد فهمت».

امسك ذقنها بين ابهامه وسبابته. ثم رفع رأسها لتلتقي عيناهما حيث تراقصت اطياف المداعبة والمكر. وقال:

«هذا ما فعلته. وقد كان بامكاني ان ارى واتفرج على كل شيء».

ازداد حياؤها مع تعاظم التهكم في صوته. ثم اضاف:

«وعليه، الا تظنين انه من السخف الافراط في الحشمة الآن؟».

اكملت ليا فك ازرار بلوزتها. وبعد ان اخرج رابلي ذراعها من كمها. غطت صدرها بيدها فيما اصم صوت نبض قلبها اذنيها.

لم يفرح رابلي بما فعلت، بل عاين جرحها واعاد تضميده بمهارة دون ان يكترث لها. ثم ساعدها على ارتداء بلوزتها ثانية.

اعادت ليا تزرير مقدم بلوزتها فيما اعلن وهو يشيح نظره عنها:

«واظن انه سيشفى هذه المرة. واتمنى لو أحطم راسك لأنك لم تخبريني انه كان يؤلمك».

فدافعت ليا عن نفسها بارتباك:

«ظننت انه سيشفى».

ثم رفع الصحن لينطلق الى صحنه دون توقف مما ذكر ليا بميزاته الحيوانية. وقال:

«خوليني سلطة الحكم من الآن فصاعداً. والأفضل الآن ان تستريحي بعض الشيء».

قالت وهي تقاوم الضعف فيما حاولت الجلوس:

«لقد نمت اياماً عديدة. والأفضل ان انهض من ان اغدو طريحة الفراش دائماً».

اصر رابلي:

«سيكون امامك فرص عديدة لتمرين رجليك الليلة. ولكن، الأفضل ان تستريحي طوال بعد الظهر».

لم تقوَ على النهوض بنفسها. فاضطرت الى الاستلقاء على ظهرها. ورغم نومها ساعات طوالاً، فإنها سرعان ما رقدت.

وافاقت ليا وقد غمر الغسق الأرض بنوره الليلكي، فيما عكست اشعته لوناً بنفسجياً فوق صفحة الماء في البركة المسدودة. ورأت قطع لحم تشوى فوق نار خفيفة. وتنبه رابلي بحاسته السادسة الى ان ليا قد استيقظت. وقال:

«الطعام جاهز تقريباً. هل ترغبين بالجلوس قرب النار؟».

اجابت مصرة:

«اجل».

ولما اوقفها رابلي على قدميها، اخذت رجلاها الضعيفتان كالقصب ترتجفان. وترنحت بينما توجهت نحو النار. وشكت في قدرتها على اجتياز هذه المسافة القصيرة لولا الدعم الذي وفره لها رابلي فطوق خصرها بذراعه.

www.rewity.com/vb

وارتجفت وهي تجلس فوق النار وتضع رجلاً فوق رجل. وادركت مدى ضعفها. وارتعشت يدها وهي تمسك طبق الاعشاب الخضراء المطهية الذي قدمه لها رابلي. وقال وهو يصب باقي الاعشاب في صحنه:

«وجدت بعض الفطريات في طرف البركة الآخر. وربما كانت اليافها قاسية، غير انها شهية ومغذية».

راق الطبق لليا رغم قساوة الالياف، الأمر الذي حذرها منه رابلي. غير ان لحم السنونو الأبيض الطري، والذي شوي فوق مشواة خاصة على نحو جيد، هو الذي فتح شهيتها. وبعد ان تناولت اخر قطعة من اللحم، ولعقت اصابعها اعجاباً وتذوقا، شعرت ليا انها كادت تتخم، وتنهدت:

«انه لذيذ».

نظر الى وجهها نظرة جانبية:

«هل اعجبك؟».

ضغطت بيدها على معدتها المليئة قائلة:

«آه! لم اشبع في حياتي مثل اليوم. ولكن، كيف استطعت ان تلتقط السنونو؟ هل نصبت فخاً؟».

ولو لم تنم عميقاً، لسمعت صوت البندقية. وابتسم بخبث قائلاً:

«سنونو؟».

تطلعت اليه بفضول:

«كان هذا عشاءنا. اليس كذلك؟».

رد رابلي:

«كلا. لا اريد ان افسد عليك طعامك. غير ان الوجبة تألفت من لحم افعى ذات اجراس».

اغمضت ليا عينيها، فيما اسرعت الى مقاومة شعورها بالتقيؤ. ثم تنفست عميقاً، واستعادت لونها ببطء بعد ان تخلصت من شعور الغثيان. وراقب التغيرات في تعابير وجهها، ثم قال وقد رن

الضحك في صوته:

«هل كانت الوجبة لذيذة الى هذا الحد؟».

اقرت ليا:

«وانا لا احس الآن انها شهية ولذيذة بقدر ما كانت عندما ذقت اللحم وظننته لحم سنونو».

ابتسم رابلي وهو يشعل سيكارة ويقدمها اليها. ثم اشعل سيكارة اخرى لنفسه. واتحد دخان سيكارتيهما بدخان النار الضئيل. ورغم ان ليا تغلبت على صدمة تناول اللحم، فقد رغبت في التحدث عن شيء غير الطعام.

«اتدري انك لم تكد تحدثني عن نفسك خلال فترة ضياعنا، فيما مضيت انا اثرثر متحدثة عن والدي وشقيقي لوني وطفولتي المتشردة وانا لا اكاد اعرف عنك سوى انك تصمم جواهر الفيروز».

صحيح انها لاحظت فيه مزايا عدة مثل رباطة الجأش في الأزمات ومعرفته للصحراء. غير انها لم تعرف حقائق عملية عن حياته. وسألها بلهجة جافة دون ان يرفض تقديم بعض المعلومات عن شخصه:

«ماذا تودين ان تعرفي؟».

الحقيقة ان ليا ارادت معرفة كل شيء. لكنها حاولت ان تبدو بريئة وغير مبالية. فقالت:

«لست ادري. ولكن، على سبيل المثال، كيف يمكن لشخص هندي في بعض اصله ان يحمل اسماً مثل رابلي سميث؟».

ضحك رابلي وهو ينفث سحابة رقيقة من دخان سيكارته. وقال:

«هل توقعت مقابلة شخص يحمل اسماً مثل جون بلاك فذر؟» (جون ذو الريشة السوداء).

ضحكت ليا من جوابه الطريف:

«شيء مثل هذا».

«وهبتني امي اصلي الهندي، فيما أعطاني ابي الايرلندي اسمه».

انعقد جبين ليا للسؤال. فابتسم رايلي وهز رأسه:

«ان والدي ايرلندي اصيل رغم ان اسم اسرته هو سميث».

«وكيف ذلك؟».

«لبضعة عقود خلت تعود اصحاب الماضي المشبوه من الرجال على تغيير اسماء اسرهم. وهذا ما فعله والدي اذ لم يعرف اسم اسرته الحقيقية. وتقول الاشاعة ان جدي تعارك مع احد الرجال وقتله في حانة في شرق البلاد. ولم يتأكد احد ما اذا كانت هذه القصة حقيقية ام خيالية. لكن هناك حقيقة واحدة ثابتة، وهي ان جدي تزوج من فتاة ايرلندية تدعى مورين اورايلي. ولما اعطاني والدي اسمي، حذف مقطع «او» من اسم والدته».

«اما زال والداك على قيد الحياة؟».

«كلا. فوالدي قتل في حادث سيارة بعد ولادتي بفترة قصيرة. ولم تقدر والدتي ان تنفق علي. فنشأت مع جدي لأمي في ارض قطعتها الحكومة للهنود. ثم ماتت والدتي وانا في الثامنة من العمر».

توقف رايلي ليتأمل طرف سيكارته بضع لحظات. ثم التفت الى ليا:

«هل ترغبين معرفة شيء آخر؟».

حدقت ليا الى النار. ثم تذكرت قول غرادي ان رايلي يحب العيش منفرداً. فدهشت لانه اخبرها كل ذلك عن حياته وماضيه. الا ان سؤاله الأخير دعاها الى طرح المزيد من الاسئلة. ولا شك انها رغبت في معرفة اشياء كثيرة اخرى. وقالت:

«اخبرني عن نشأتك في الأرض التي اقتطعتها الحكومة للهنود».

«كانت نشأة بسيطة».

وادرك ان جوابه لم يكن كافياً، فأضاف:

«كنت اذهب مع اولاد الهنود الى المدرسة، وارعى اغنام جدي، واساعد في اعمال اخرى في بيته الواقع بمنطقة نصف صحراوية معزولة. وكان جدي يصنع مجوهرات الفيروز لزيادة دخله الضئيل.

وطالما سمح لي بمساعدته اوقات فراغي».

وابتسم ابتسامة ساخرة وهو يتذكر:

«لقد اقتصرت مساعدتي على تكسير الخامات في اغلب الأحيان».

«ما هو تكسير الخامات؟».

اوضح رايلي:

«تكسير الخامات هو فصل الفيروز عن الصخر المضيف بواسطة كماشة صغيرة طويلة الفكين او مطرقة او كتلة رصاص. ومعظم الخامات التي حصل عليها جدي استخرجت من منجم مهجور تم استغلاله من زمن بعيد».

«وهكذا بدأت تهتم بالمجوهرات وتتعاطى تجارتها؟».

قال وهو يرمي عقب سيكارته في النار متأملاً النجوم القليلة التي ظهرت في السماء:

«اجل. فإني نشأت وانا افكر كهندي في كثير من الأمور واحفظ بعض العادات والتقاليد القديمة مع انني ابيض. والحقيقة اني لم اشعر بالانتماء الى اي من الفريقين».

ثم توقف. غير ان ليا انتظرت من دون ان تتكلم فأضاف:

«لم اتأكد قط مما اذا كان تركي الأرض التي اقتطعتها الحكومة للهنود عائداً الى ربع دمي الهندي التائق الى الحرية ام الى جزئي الأبيض المادي الطامح الى نمط مختلف من الحياة».

علقت ليا:

«لا يمكنك ان تجزىء نفسك لأنك نتاج هذين العالمين».

واضافت في سرها انه رجل قوي مكتمل الرجولة، خلاق ذكي، واسع الحيلة وشديد الكبرياء، وان اجتماع كل هذه الصفات فيه اعطاه سلاماً داخلياً وثقة بالنفس لا تتزعزع.

وقال بحزم:

«بدأت تفلسفين الاشياء. واظن ان وقت النوم قد حان. وسأقرب فراشنا من الموقد».

فيما قرّب رايلي البطانية بضعة امتار من الموقد، حدقت ليا الى اللهيب القريب من ركبتيها، وسألت:

«لماذا تشعل ناراً صغيرة باستمرار؟ الا يزيد حجمها من دفئها؟».

وضع رايلي البطانية على بعد ذراع من كومة الحطب مما يسهل عليه تزويد النار اثناء الليل وقال:

«اعتاد الرجل الأبيض ان يشعل ناراً كبيرة. ثم ينام على بعد بضعة امتار منها لشدة لهيبها. اما الهندي، فيشعل ناراً صغيرة وينام قربها».

ثم مد يده لها ليساعدها على الوقوف. وانعكست في عينيه ألسنة النار المتأججة في الموقد.

٧- ايام في الفردوس

كان هدوء البركة وبرودتها مريحين للاعصاب. وانحنت اغصان الصفصاف الصغيرة فوق الماء لتعكس ظلالها على صفحتها. وحركت النسمات اللطيفة الحشائش المائية عند طرف البركة الآخر فيما جرت المياه عند جانب البركة المسدود في طريقها الى مجرى الجدول الفضي.

واتكأت ليا على جذع شجرة رفيع. ثم انتزعت ورقة عشب. ولم تكن ضعيفة كالامس. غير ان قوتها ما لبثت ان تلاشت.

امتد فوق الماء حبل معوجّ من خيوط حلها رايلي من احدى قمصانه وثناها على بعض. وشد الحبل من طرف الى احد عمودي المظلة، فيما علق بطرفه الآخر دبوساً من صندوق الاسعافات الاولية صمم على هيئة خطاف.

علت ثغر ليا ابتسامة خفيفة متسائلة:

«هل حقاً تتوقع ان تعيش الاسماك في هذه البركة؟».

رمقها رايلي بنظرة جانبية وهو يبتسم:

«لكنها طريقة رائعة للجلوس والتفكير».

«التفكير بماذا؟».

هزّ رايلي احد كتفيه:

«باشياء...».

«اشياء مثل ماذا؟».

عبس رايلي موحياً لها انه يفكر جدّياً ولو لمرّة. ولم يجبها على الفور. ثم مسحت نظرته الحادة المنطقة المحيطة بها:

«هذا مكان رائع اذ يكثر فيه الماء والحطب الذي يقطع من تلك الاشجار الواقعة هناك».

اضافت الى تقويمه العملي:
«وهو مكان رائع وهادىء: ومنْ حسن الحظ انك عثرت عليه».
اجاب:
«تعرفين ان البقعة الخضراء في الصحراء تظهر عن بعد اميال عديدة. وحيث توجد الخضرة يوجد الماء. وقد رأيت هذه الواحة الخضراء منذ بلغنا سفح الجبل».
تفحّصت ليا الجبال التي احاطتها من ثلاث جهات محاولة تحديد القمة المسننة حيث تحطمت طائرتها. ولم تقدر على ذلك لان القمم تشابهت. فسألت:
«اين كنا؟».
اشار رابلي الى قمة جبل لم تبد بعيدة.
«كنا هناك فوق على بعد حوالى خمسة واربعين كيلومتراً. هل ترين الحفرة الصغيرة على الجانب الآخر من القمة؟ هناك تحطمت طائرتنا».
تنهدت وهي تتكىء ثانية على الشجرة:
«اظن اننا نعتبر في عداد الموتى بعد مرور هذا الوقت الطويل».
كان هذا يومها الثامن. ويبدا الوقت قصيراً من جهة وبلا نهاية من جهة اخرى.
فقال رابلي عابساً:
«ستمرّ ثلاثة او اربعة ايام قبل ان تستردي صحتك وتستطيعي الخروج من هنا».
علقت ليا:
«لن نخشى هنا انقطاع الماء على الاقل. كما اننا نأمل ان نحصل على الطعام».
في هذا الصباح كان رابلي قد اعلن انهما لن يستعملا على المأكولات المجففة الثلاث الباقية الاّ في ساعة الحاجة وانقطاع السبل، وانهما سيأكلان عوض ذلك كل ما يصطادونه. ولذا نصب

افخاخاً على طول الطريق المؤدية الى مورد الماء. واذا اخفقت خطته هذه فانه سيلجأ للصيد بواسطة مسدسه علماً بان هناك وفرة من الافاعي يمكن الاعتماد عليها رغم ان ليا شكّت في قدرتها على تناول لحم الافاعي باللذة والشهية نفسهما كما في المرة الاولى عندما لم تكن تعرف نوع اللحم.
وقال بهدوء وهو يحرّك الحبل في الماء:
«الطعام الموجود هنا يكفينا نحن الاثنين مدة ثلاثة ايام. ويكفي واحداً منا مدة ستة ايام».
تشنجت لدى سماع لهجته:
«ما المقصود بهذا الكلام؟».
قابل نظرتها المتحدية بوجهه الهادىء والخالي من التعبير:
«هذا يعني ان تبقي هنا فيما اخرج طلباً للنجاة».
«علّقت بسخط:
«ناقشنا هذا الموضوع من قبل».
وعاد رابلي يركز انتباهه على صنارة الصيد:
«الاوضاع تختلف الآن لانك لا تقدرين على السفر قبل بضعة ايام. وقد لاحظت على بعد حوالى ستة عشر كيلومتراً من هنا طريقاً ترابياً يصل الى مركز الوادي. ومن هناك قد يتصل بطريق عام او بيت زراعي».
«ما هي المسافة؟».
اجاب وهو مستغرق في التفكير:
«لست ادري. فانا لم ار الدخان يتصاعد من الجنوب في الصباح مما قد يشير الى بعد اقرب بيت زراعي من هنا. وقد ذهبت في اليوم الثاني لوصولنا الى الطريق حيث لم يظهر اي دليل على استعماله منذ بضعة اسابيع او اكثر. ومن المحتمل انه هجر عندما هجر المنجم. ولا شك انه يؤدي الى مكان ما».
ضغطت على اسنانها بعزم واصرار:

«لن ابقى هنا وحدي يا رايلي. انا اعني ما اقول».
«كلما اطلنا الاقامة هنا، كلما ازداد خطر حدوث مكروه. ستكونين في مأمن لوحدك».
ذكرته ليا:
«لقد قلت اننا عشنا المحنة معاً. ولذا لن ادعك تنطلق وحدك».
«انك ضعيفة ولا تقوين على الذهاب الآن».
اعترضت بقوة رغم ادراكها ان قول رايلي صحيح:
«انا لست ضعيفة. انا قادرة ان امشي معك مهما طالت المسافة والوقت. ولا احس بتعب. فالحمى اقلعت عني واصبحت قوية معافاة كالحصان».

ورغبة في اثبات صحة ادعائها، وقفت بسرعة ومشت بخطوات رشيقة نحوه. الا ان الحركة المفاجئة ادت الى اصابتها بالدوران فوراً. وضغطت بيدها على رأسها بعد ان اختل توازنها.
وفي اقل من ثانية وقف رايلي وطوق خصرها بذراعيه ليسندها، واتكأت عليه بتثاقل وهي تجهد نفسها لاستعادة احساسها بالتوازن. ثم رفعها بين ذراعيه والقاها ثانية على جذع الشجرة.
وسخرت عيناه الخضراوان من شحوب وجهها:
«والآن هل تعترفين بانني مصيب؟ فانت ضعيفة جداً».
دافعت ليا عن نفسها وهي تلقي رأسها على الشجرة لتحدق الى الرجل الجاثم بجانبها:
«تحركت بسرعة. هذا كل ما في الامر. وانا اقسم انك لن تذهب وحدك يا رايلي. فاذا ذهبت سألحق بك».
وفيما تحدثت احست بغصة في حلقها رغم تحكمها بنبرات صوتها.
اما رايلي، فعلت ملامحه سخرية وتجهم. واستدار وهو لا يزال جاثياً على ركبته ليعود الى مكانه. وقال:
«اظن انك تعنين ما تقولين».

بيد ان ليا احتاجت تطميناً فعلياً بانه غيّر رأيه ولن يتركها وحيدة. فامسكت بقميصه قصد ايقافه. وانحنت الى الامام لتتفحص تعابير وجهه بعينيها البندقيتي اللون الحائرتين.
وهتفت:
«رايلي».
حملق رايلي فيها من دون ان يتفوّه بكلمة او يظهر شيئاً من افكاره او قراره. والتمعت عيناه غضباً. وتحركت يده على مهل من دون ارادته على خصرها.
وتسارعت ضربات قلبها خوفاً وقلقاً وحماسة فيما شدّها رايلي اليه عناقاً وضماً...
وفجأة تمدد رايلي على ظهره وهو يمسك بها. واطبقت جفونها لتخفي الشوق الملتمع في عينيها. وهمست بارتعاش:
«لقد اردتك ان تفعل هذا».
علّق بصوت مرتعش كشف احاسيسه رغم تحكمه بعواطفه عادة:
«ليا. انك لم تعرفي رجالا من قبل؟».
خافت من سؤاله اللطيف اكثر من عناقه الشرس. وتدلّى شعرها الحريري على وجهها ليستر الحمرة التي علت وجنتيها فيما افلتت من قبضته الفولاذية وانتصبت واقفة. واحست بنظراته الثاقبة تلاحقها. الا انها لم تقدر على مواجهته. وظلّت تدير ظهرها له بينما ادخلت يديها المرتعشتين في جيوب بنطالها وتنفست بتقطع. وكرر رايلي:
«اليس كذلك؟».
واحسّت بصوته يأتي من ورائها مباشرة. وادركت انه وقف دون ان تسمع حركاته. وفوراً احاطت يداه بخصرها. وقالت:
«لا اجد سبباً يدفعني للاجابة على سؤالك».
اغمضت عينيها وهي تتمنى الا تحسّ بقربه. واجاب ببساطة:
«واريد ان اعرف».
تحدته بعصبية:

www.rewity.com/vb

«كان بامكانك ان تكتشف ذلك بنفسك. فانا لو ملأت الدنيا زعيقاً وصراخاً فلن يسمعني احد. ولكن ما الذي اوقفك»

وادارها نحوه والغضب يتطاير من عينيه الخضراوين.

وتبينت له سذاجتها. فارخى قبضته الفولاذية عن خصرها. وغاب الشرر من عينيه عندما لمح الخوف في عينيها. وقال مبتسماً:

«لا بأس عليك. لا داعي للخوف».

طرفت عيناها:

«ممن اخاف؟ منك؟ ام من نفسي؟».

وتنفس عميقاً فيما ضاقت حدقتاه الخضراوان:

«لا تقولي مثل هذه الاشياء».

سألت:

«لماذا؟ انا لا انكر انني للحظة كنت اتمنى لو تداعبني».

قال بغضب وهو يدفعها بعيداً عنه:

«حسناً. حاولي».

ولما ركزت ليا نظرها على رايلي، كان الغضب الذي علا وجهه قد اختفى، وبرزت على ملامحه الدقيقة رباطة جأش لا تتزعزع. وشعرت ليا انها تدور في دهليز خصوصاً وان تصرفاته اربكتها. فهي ليست ساذجة الى حدّ لا تعرف معه ان رايلي اراد الحصول عليها. ولكنه رفض مقاربتها فور معرفته انها عذراء. لماذا يا ترى؟ الا ترضي عدم خبرتها ذوقه؟

واغرورقت عيناها بالدمع وهي تصرخ في وجهه غاضبة:

«اني لا افهمك يا رايلي سميث».

قطّب جبينه وهو يلتفت اليها بسرعة ويجيبها بقسوة:

«الامر في غاية البساطة. فانا عندما اكون في الصحراء لا يسعني ان افكر الا كالهنود».

جلا جوابه الغامض الامور لليا اكثر من تصرفاته. فركت رقبتها غيظاً وهي تحاول تجفيف دموعها السخية. واستطاعت ان

تحبس دموعها بدون ان تسيطر على ذقنها المرتعشة.

وتنهّد رايلي. وسار على العشب بخفة وهو يتجه اليها. ولامست يداه كتفيها، فنفرت منه. غير انه ضغط عليها ثانية. وصاحت في وجهه بحدة وهي ترجع رأسها الى الوراء لتحلق اليه:

«لا تقنعني بانك ملاك».

وافق رايلي برباطة جأش:

«لست عفيفاً او ملاكاً ابداً. لكني لا ازعم ان افصح عن عدد خليلاتي».

واجابت متهكمة:

«هذا مريح».

وتحدث ببطء وهو يسخر من نفسه:

«يعتبر الهندي كل امرأة تعاشر رجلا قبل الزواج غير نظيفة، ولذا ترينه يتجنبها. واقرّ ان هذه عادة رائعة تجب المحافظة عليها في هذه الايام الشريرة. اما فيما يتعلّق بك، فانا مجبر على اتباع تعاليم جدّي. فلقد عشنا كل هذا الوقت والمحن معاً، ولن اكون اول من يفسد طهارتك».

افترّ ثغرها عن ابتسامة مرتعشة بينما ابعدت كلماته الغيوم المتلبدة عن قلبها واضاءت نور السعادة امامها. وتنفست الصعداء:

«وهذا هو سبب سؤالك؟».

ابتسم رايلي ببساطة:

«اجل».

طوّقت خصره بذراعيها وهي تتنفس راضية. ثم القت رأسها على صدره. اما هو، فشدها اليه بقوة فيما داعبت يده كتفيها وعبثت اصابعه بشعرها. فتعانقا...

ثم افلتها. وقال بجفاء وهو يحدق اليها بحنو:

«حان الوقت الذي تهتمين فيه بصيد السمك فيما افحص انا الافخاخ».

همست ليا:
«دعني اذهب معك».
وضع يده على فمها وهو يهز رأسه الاسود:
«اريد التأكد من حصولك على راحة كافية لتتمكني من طهي عشائنا هذه الليلة».

واجلسها على الارض قريباً من صنارته. وجلست ليا من دون مقاومة على الضفة فيما مشى هو بعيداً. وشعرت انها بدأت تميل نحوه، هذا ان لم تكن قد وقعت في هواه. فهل هذا ناتج عن حقيقة انها لم تكن لتستطيع العيش من دونه في هذه الصحراء المجدبة. كلا. صحيح انها قدرت فيه كفاءته وسعة حيلته وقوته، الا ان مشاعرها كانت اسمى من ذلك. ولم تكن اهواء جسدية فحسب.

فهي اذن تحبه بغض النظر عن كل الاعتبارات الاخرى. وحاولت ان تنبه قلبها الى ان مدة ثمانية ايام لا تكفي للوقوع في هوى رجل. فاجاب قلبها انها هي ورابلي عاشا تجارب قد لا يمرّ فيها زوجان طوال حياتهما.

وحصرت نقطة الشك الوحيدة في موقف رابلي تجاهها. فهل تخطت مشاعره حد الافتتان بمحاسنها؟ وتنهدت ليا اذ ادركت ان ليس باستطاعة احد حمل رابلي على التصريح باي شيء. واكتفت الآن بالتأكد من حبها له.

وقع ارنب في احد الافخاخ. فنظّفه رابلي وعلّم ليا كيف تشويه. واحتوت وجبتها طبقاً من الاعشاب التي قررت ليا ان تجعلها عنصراً اساسياً من غذائها. ووهنت ليا بعض الشيء نتيجة ما بذلت من جهد لاعداد وجبتها. ووضعت الاطباق فوق النار لتجف. ثم داعبت شعرها الكستنائي بيد متعبة متمنية الدخول في حمام ماء ساخن. وسأل رابلي بلطف:
«هل انت متعبة؟».
اعترفت:

«بعض الشيء».
وجلست بقربه امام النار مستندة الى رجليها. وقالت:
«كنت تفكر انني مشكلة؟».

واحاطها رابلي بذراعه وادناها من كتفه. واطبق يده على معدتها فيما جعلها تتطلع الى النار. وحدقت ليا الى اللهيب بينما تملكها شعور عارم بالنعيم والسعادة. ومازحته وهي تتنهد تنهيدة رضى:
«الن تقول بأني لست مشكلة؟».
قهقه رابلي:
«لن اقرر واقعاً».

هزّت ليا رأسها هزاً سريعاً تعبيراً عن الغضب. ثم قالت بلهجة مازحة:
«هذا جواب لبق وذكي».

وعوى ثعلب في وجه القمر. فانضم الى نشيده ثعلب يقف على تلة اخرى. وتألقت السماء المخملية بنجوم ساطعة.

ولامست ذقنه شعرها. وقال بصوت مبحوح اسرع خفقات قلبها:
«هل تريدين ان اقول ان شعرك معطّر بشذا نبات الناعمة والدخان، وان لونك يذكّرني بجلد الظبية الصغيرة المرقط وهو يلتمع في شمس الصباح؟».
حبست ليا انفاسها:
«هل هذا حقاً ما تظنه؟».
ابتسم رابلي فوق شعرها:
«واما عيناك، فتشبه عيون المها لوناً واستدارة وثقة. وقد لوحت اهدابها الشمس. وعظامك رقيقة كعظام الظبي».

واحاطت يده بساعدها ليشدّ ذراعها الى ذراعه ويدنيها اليه. واحسّت انها تغرق في بحر من العواطف الجيّاشة. لكنها لم ترغب في السعي للافلات منه. وقالت:

«واظن انك ورثت المجاملة وتنميق الكلام عن اجدادك الايرلنديين».

اجاب وهو يتأمل شعرها:

«هل تظنين ذلك؟ هذه تركة طبيعية من اجدادي لكل من ابي وامي. وبعض اعظم الخطباء في تاريخ اميركا هم من الهنود».

لم تحمل عبارته اي مرارة او اي شيء يستحق الرد. وطغا صمت الصحراء.

ومرّ وقت طويل قبل ان يعلن رايلي ان وقت النوم قد حان. والامر الوحيد الذي دفع ليا الى الموافقة هو معرفتها انها ستستند الى ذراعه اثناء النوم. وهدهدتها ضربات قلبه المتزنة حتى غفت.

قطع الهواء البارد الدفء والهدوء على ليا. فانزعجت بدون ان تفتح عينيها، بل دنت التماساً للدفء. لكنها لم تجده في مكانه.

فاستفاقت فوراً. فوجدت انوار الصباح تغمر المكان، والسنة اللهيب تلتهم الحطب الذي اضيف حديثاً الى النار. فرفعت الغطاء وجلست. الا انها لم تر اثراً لرايلي.

ولم تجد اثراً للقنينة. ونظرت الى البركة حيث ظنت رايلي يملأ القنينة ماء. بيد انها لم تجده. وانتصبت واقفة تتفحص محيط المخيم.

وسيطر عليها خوف شديد. فتمتمت بصوت عال وكأنها تطرد الافكار السوداء من رأسها: «لا يمكن ان يكون قد ذهب، انه لن يفعل».

بيد ان احتمال ذهابه كبير. وها هي وحدها في الصحراء. واقشعرّ بدنها عندما تذكرت انه لم يعدها بعدم مغادرة المكان من دونها. والحقيقة انه لم يقل بانه لن يذهب.

وحوّلت نظرها الى وسط الوادي حيث تسلل مع خيوط الفجر الاولى ظاناً انها ضعيفة وتخاف اللحاق به.

وصرفت ليا اسنانها بحنق وهي تتمتم: «سادهشك يا رايلي سميث».

خمّنت انه ليس بعيداً عنها، وانها ان حثت الخطى ستلحق به. فنهضت ودفعت بعض الرمل الى النار برجلها. ثم حركت الجمر مضيفة بعض الرمل اليه.

ولم تجد ضرورة لحمل الامتعة القليلة لان وزنها سيخفف من سرعتها. وكان رايلي يحمل القنينة وهي اهم ما يحتاجانه في الطريق.

لم تعطِ ليا نفسها فرصة لفحص دوافعها، بل هجرت المخيّم من دون ان تلقي نظرة واحدة وراءها. وكان همّها اللحاق برايلي باقصى سرعة. وبدأت تعدو لتقطع المسافة التي تفصلها عنه. واصطدمت نباتات الصحراء الصغيرة برجليها. وطار سرب من طيور الجبل الزرقاء فوق النباتات بخفة مذعوراً. وانصبّ جلّ اهتمامها على الارض امامها.

واحسّت ليا بقوة خفية تجذبها الى الوراء. فصاحت صيحة مدوية مزقت حجاب الفضاء. واعاق تحرّكها جسم ثابت صلب لا يتحرّك.

وشدها رايلي من كتفيها بقوة وعنف:

«قولي لي اين كنت تنوين الذهاب».

حدّقت بذعر ودهشة الى وجهه المتقد غضباً. وبدأت تبكي وتضحك في آن:

«رايلي؟».

وتلعثمت وهي تضحك وتبدي علامات الارتياح:

«ظننت.. ظننت انك ذهبت طلباً للنجدة. وظننت انك تركتني وحدي».

«ايتها المجنونة...».

ولم يكمل رايلي جملته بل تابع بغضب:

«كنت تنوين اللحاق بي».

القت رأسها على صدره لتلتقط انفاسها. وصاحت:

«قلت لك انني سافعل».

وأرخت اصابعه قبضتها التي نفذت الى عظامها وقال بحنق:

«كان من الواجب ان تتأكدي اني ذهبت عوض ان تركضي في الغابة كالمجنونة».

قالت:

«بحثت عنك. اين كنت؟».

ثم افلتها كلياً. ووقف امامها عابساً وقد وضع يديه على وركيه:

«كنت اتفقد الافخاخ».

واشاحت بعينيها عن نظرته الموبخة شعوراً منها بالذنب والندم. فقد نسيت كل ما يتعلق بالافخاخ عندما ايقنت بذعر انه قد تركها. وقالت:

«لم اذكر ان هناك افخاخاً».

تنفس رابلي عميقاً وهو يقول ساخراً:

«لنعد الآن الى المخيَّم، ولنشعل النار ثانية. واضح انك عزمت على اللحاق بي. فهلا تفضلت وتبعتني في طريق العودة الى المخيم؟».

واطرقت اذ لم تشك انه غاضب من عملها الطائش. فهي كانت ستضلّ الطريق. وحثت السير لتلحق به:

«كيف... كيف عرفت اين ذهبت؟».

اجاب باختصار:

«لم اعرف. لكنني سمعت عدواً وجلبة في الغابة. وخمّنت اما انك تركضين، او ان قطيعاً من الماشية ذعر فهرب».

تنهدت ليا:

«كنت مجنونة حقاً».

فنظر اليها نظرة باردة:

«انت مخطئة اذا توقعت ان اقول لك العكس».

وقررت ليا التزام الصمت الى ان تهدأ ثورته. وغرقت في صمت مطبق فيما اعادت اشعال النيران. ولما اضطرمت النار ثانية بدأ رابلي ينظف عصفوراً التقطه في احد الافخاخ. دون ان يوجه الى ليا كلمة

او نظرة.

ولم تجد ليا شيئاً تفعله الا الجلوس ومراقبة رابلي فيما مزقها الصمت المزعج من الداخل. وتعاظم شعورها بالانزعاج الى حد شعرت معه انها عوقبت بقسوة لا تستحقها. واخيراً سعت الى مهادنة رابلي.

ولما عزم ان يضع العصفور النظيف على النار، تقدمت منه ليا مطلقة نكتتها التقليدية:

«دعني افعل ذلك. فهذا عمل الزوجة».

اجاب بصوت مفعم بالاحتقار واللامبالاة:

«انت لست زوجة».

سألت ليا وقد جرحها كلامه كالسكين:

«رابلي، اني آسفة. ماذا تريدني ان اقول ايضاً؟».

ثم وضع العصفور على المشواة ووقف وقد ارتسم الغضب والعتاب الشديدان على ملامحه:

«هل تدركين انك كنت ستموتين هناك؟ فاما ان تلدغك حية، او تسقطي وتكسري عنقك او تقضي من الجوع والعطش. فانت لم تأخذي معك اي شيء يقيك خطر العناصر. لم تأخذي اي طعام او ماء».

صاحت رداً على صياحه واتهامه:

«أردت ان الحق بك ولم ارد ان تخفف الامتعة التي احملها سرعتي. اما القنينة، فكانت معك. وهل تظن انني كنت سأعدو في الصحراء وانا احمل قدر ماء؟».

«كان من المفروض ان تلتزمي مكانك وان لا تركضي في اي اتجاه. ولنفترض اني كنت قد ذهبت، كان يفترض بك البقاء حيث انت. اما القنينة فقد اخذتها معي لاملأها من البركة وانا في طريقي لتفقد الافخاخ».

اجابت غاضبة:

«لكني لم اعرف ذلك».

ضاقت حدقتاه فيما زفر زفرة غاضبة وصاح وهو يصرف اسنانه:

«عليّ ان اضعك فوق ركبتي واضربك تعويضاً لي على ما اصابني من ازعاج وخوف».

ردّت ليا:

«وماذا عما اصابني انا من ازعاج وخوف عندما ظننت انك ذهبت وتركتني؟».

قال رايلي:

«لذلك لحقت بي من دون ان تحملي شيئاً او تعرفي اين تتجهين. كان من المحتمل ان تضلّي الطريق او تموتي قبل ان تغيب شمس النهار».

وبكت بمرارة وهي تدفع الشعر عن وجهها وتستدير مبتعدة:

«كنت ستتخلص مني ومن التفكير فيّ على الاقل. الست نادماً لأنك لحقت بي وأعدتني الى هنا؟».

ادارها نحوه وهو يشدها الى صدره بقوة متمتماً:

«ان اعمالك تفقد الملاك صبره وثباته».

«لست ملاكاً».

دفعها بعيداً عنه وهو يقول بسخرية وهدوء:

«لا تقولي شيئاً، بل انظري ما يجب ان تفعلي حتى لا يحترق غداؤ نا فيما اغسل وجهي ويدي».

وكادت النار تحرق الطائر. فعملت ليا على تخليصه فيما توجه رايلي الى الساقية الضيقة التي تشكلت من جريان الماء المندفع فوق جدران البركة. وبعد ان قلبت الطائر، راقبت ليا رايلي يجثم قرب الساقية ويرش الماء البارد على وجهه ورقبته.

وابتسمت له بينما نظرت الى الشمس الدافئة التي لم تلفح الارض باشعتها المحرقة بعد.

٨ - النقاهة

بعد ان تناولا طعامهما اقترح رايلي ان تستريح ليا خلال ساعات الظهر وبعده. فحاولت، لادراكها اهمية استعادة قوتها. الا انها لم تفلح.

واضطرمت النار في داخلها وهي تراقبه يصلح فخاً. لم تكن الحمى ناشئة عن عدوى، اللهم الا اذا كان الحب عدوى. واذا كان كذلك، فكم تمنت لو تنتقل هذه العدوى الى رايلي.

كم مرة حاولت ان تغمض عينيها! لكنهما كانتا تفتحان لتلتفتا الى رايلي الذي اثار وجوده حواسها. وكم مرة تمنت لو يحتويها بين ذراعيه، فتبخرت من رأسها كل افكار الاسترخاء والراحة.

لم تجد محاولاتها الاسترخاء نفعاً. وادركت خطر التجربة الكامن في وضعهما الراهن. فهما وحيدان في فردوس صغير، وقطف ثمرة التفاح النضرة الريانة عمل مغر. وهكذا ستغدو ليا امرأة حقاً.

نهضت ليا عن بساط العشب الرطب وهي تمرر يديها على وركيها بسرعة. والتفت رايلي اليها متسائلاً عن سر نهوضها. فقالت بشيء من اللامبالاة وهي تبرر قرارها:

«سأغسل ثيابي في الساقية. ويمكنني ان اغسل قميصك اذا اردت، فأنا لا اشعر في رغبة بالاستلقاء من دون عمل».

وكان رايلي قد خلع قميصه وعلقه امامه. فهز رأسه موافقاً، ودفع بالقميص الى ليا. ثم عاد يركز انتباهه على الفخ المتلف:

«بامكانك ان ترتدي احدى القميصين اللتين حزمنا بهما الامتعة فيما تغسلين الثياب».

وأكبّ على عمله حتى بدا كأنه لا يسمع قولها:

«اشكرك».

www.rewity.com/vb

ووقفت ليا خلف اجمة كثيفة لتخلع ملابسها الخارجية وترتدي القميص، التي شابهت رداء طويلاً غطى سترتها الداخلية ووصل الى وسط جنبيها. ثم ثنت كميها وبدأت تغمس الملابس في الماء وتفركها حتى تنظف من دون الاستعانة بسائل مطهر.

ورأت أخيراً ان الملابس اصبحت نظيفة قدر ما ترغب به في هذه الظروف. ومسحت حبات العرق عن جبهتها وشفتيها بمؤخر يدها.

ثم حملت الثياب المبتلة لتنشرها على شجيرات لفحتها الشمس عند طرف موقعها الظليل.

وقالت في نفسها ان الشمس كانت ستجففها في دقائق. وفور خروجها من الظل احرقتها اشعة الشمس اللاذعة. وتزايد تصبب العرق بين كتفيها وهي تبسط الملابس على الشجيرات الصغيرة. وتطلعت الى البركة، التي يزيد حجمها ثلاثة اضعاف عن حجم حوض الاستحمام. وتراجعت الى الظل:

«رايلي، هل هناك خطر من ابتلال ذراعي؟».

أجاب دون ان يرفع نظره:

«لماذا؟ هل ابتلت؟».

ردت ليا بسرعة:

«كلا. ولكن ان لم يكن هناك خطر من ابتلالها، فأنا اشعر برغبة في الاستحمام».

«الأفضل ان القي نظرة عليها اولا».

ولما رفع رأسه، رمقها بنظرة اعجاب.

فأدارت ظهرها له لتخرج ذراعها اليسرى من الكم المطوي وتلف قميصها كالعباءة حولها.

وقف رايلي ليفحص جرحها وقد التمعت عيناه الخضراوان سخرية من تصرفها. ولمس جلدها بجفاء وتجرد. ثم نزع الضماد عنه.

وعلق وهو يرد الضماد الى محله:

«هل تعلمين ان الجرح سيترك اثراً في موضعه؟».

هزت ليا كتفها:

«هذا لا يهم».

وحرك صدر رايلي البرونزي اهواء ليا المختلفة. فحاولت كبت رغباتها ودفعت رأسها الى الوراء لتتأمل وجهه:

«هل هناك خطر من ابتلال الجرح؟».

وتسمر نظره على ثغرها لحظة احست فيها ان قلبها توقف عن الخفقان، وانها تميل نحوه توقاً الى لمساته. ورأت عقده الفيروزي والفضي يتألق على عنقه الأسمر. الا انه ابتعد عنها برشاقة قائلا:

«لا اظن ذلك. ولكن لو كنت مكانك لحاولت الا تبتل الضمادة. فلا داعي للمجازفة في هذه المرحلة. والبركة، في اي حال، ليست عميقة. واذا لم تزل قدمك، لن تتعبي في منع الضمادة من الابتلال».

عقدت ليا جبينها بفضول:

«كيف يمكنك ان تقول انها ليست عميقة؟».

اكب رايلي على الفخ. وهو يقول بمكر:

«هل تذكرين انني غطستك فيها مرة لاخفض درجة حرارتك؟ كما انني استعملتها انا نفسي بضع مرات في الصباح الباكر قبل ان تستيقظي».

وزال تعجبها من نشاطه الدائم ومناعته ضد قسوة العيش. ولم تجد ضرورة للتعليق على تلك الحقيقة. وقالت بتردد وحياء:

«سأحرص على الا تزل قدمي».

ثم نزلت الى البركة. ونظرت الى خلف لتجد رايلي يدير ظهره لها، ولم تعرف اذا كان ذلك عملاً متعمداً او غير مقصود ام نتيجة عدم اكتراثه، ثم خلعت قميصها ودخلت البركة مستعينة بغصن متدل لتحافظ على توازنها. ولم ترتفع المياه فوق خصرها حتى عند طرف البركة حيث تصل الماء الى اقصى عمقها وتدنت درجة حرارة

المياه هناك عن بقية البركة مما جعل ليا تظن انها اقتربت من مدخل النبع.

وارتبكت حين حاولت الابقاء على ذراعها خارج الماء وهي تغطس شعرها والجزء الأعلى من جسمها فيه. ورغم بطء العملية، فإن الماء كان بارداً ومنعشاً. ولعبت بالماء فرشته على جسمها وزحفت نحو الضفة حتى لا تترنح وتقع. ولما انتهت كان رابلي لا يزال يصلح الفخ. فجففت جلدها من الرطوبة بسرعة بالقميص الذي كانت ترتديه. وتخلصت من الماء الزائد في ملابسها الداخلية. فيما جفت باقي ملابسها. ووضعت ليا القميص المبتل عليها. ثم عادت الى الشجيرات لتجمع الغسيل وتلبس ثيابها بسرعة. وكانت مواضع الدرز في بنطالها لا تزال رطبة. وقد خففت رطوبتها ورطوبة ملابسها الداخلية من جفاف الملابس الخارجية ودفئها.

عادت الى وسط المخيم وهي تقول لرابلي:

«تفضل. هذا هو قميصك».

«أدار رأسه تجاه القميص فيما ظل مكباً على الفخ المتلف:

«ضعيه فوق المظلة».

فعلقت ليا ياقة القميص فوق احد العمودين.

«ألم تصلح هذا الفخ بعد؟ فأنت تعمل فيه منذ الظهر».

اجاب من دون اكتراث:

«مهما تكن الطريدة التي وقعت في هذا الفخ، فإنها ظلت تقرضه طوال الليل».

جثت ليا بجانب امتعتها القليلة تقلبها بعصبية. واخيراً استندت على عقبيها ونظرت الى رابلي تسأله:

«هل تعرف أين هو المشط؟».

«في صندوق الطعام».

عثرت عليه. وبدأت تسرح شعرها المعقد. ووجدت ان الشمس لطخت شعرها الكستنائي ببعض الخطوط البيضاء مما زاد اللون

الذهبي فيه. وبينما هي تمرر المشط في شعرها، رأت ظلا يتحرك فوق منحدر جبل بعيد.

لم يظهر خلال اليومين السابقين اثر لطائرة استطلاع. وواضح ان رابلي لم يلاحظ اثراً شبيهاً من قبل، والا لكان اخبرها.

تذكرت ليا والدها الطيب العابس والمستقيم الذي لا يخطىء. وتذكرت تناقض شخصيته المتحفظة مع شخصية امها الدافئة والصريحة التي ساعدتها على اكتساب الاصدقاء الجدد في كل مرة نقل زوجها فيها الى مكان جديد.

والمحتمل ان يكون والد ليا قد قوم احتمالات بقائها على قيد الحياة بعد مرور تسعة ايام على تحطم الطائرة بها في الصحراء. وخمنت انه يعتبرها في عداد الموتى.

وهو لا شك يجهد نفسه في تعزية امها. اما معرفتها بلوني، فتؤكد انه لن يوقف البحث عنها قبل ان يجدها لأنه لا يؤمن بالاقدار مثل والدها.

وحسابات والدها لن تأخذ في عين الاعتبار وجود رابلي. وهو لا يمكن ان يكون على دراية بمعرفة رابلي الواسعة بالصحراء وقدرته على العيش في ظروف صعبة وبدائية.

وافتر ثغرها عن ابتسامة وهي تتصور رد فعل والديها فيما لو اتيحت لهما فرصة مراقبتها في هذا المشهد حيث جلس رابلي يحاول اصلاح فخ متلف ليلتقط به وجبتها المسائية، في حين سرحت هي شعرها بعد ان غسلت ملابسها في الساقية واستحمت في البركة.

وكادت عقارب الساعة ترجع مئة سنة الى الوراء. فالأمتعة الحديثة القليلة التي كانت في حوزتها لم تتعد مصباحاً وكمية من الطعام المعلب ومسدساً وسكيناً. اما بقية الأمتعة من قدر واطباق وملاعق وافخاخ ومظلة، فكانت من صنع ايديها.

وتمعن رابلي فيها وقد تحول وجهه جانباً بعد ان ارتسمت عليه امارات الفضول:

«لماذا تبتسمين؟».
اتسعت ابتسامتها المتعبة:
«كنت اتخيل دهشة والديّ لو اتيحت لهما فرصة مشاهدتنا الآن ونحن نعيش هنا في هذه الصحراء».
فهز رأسه متفهماً. ثم تفحص السماء قبل ان يعود الى اصلاح الفخ. وابعد تصرفه البسمة عن وجه ليا. فقالت:
«لم يعد هناك امل كبير في ان تعثر علينا طائرة. وعلينا الآن ان نخرج من هنا مشياً على الأقدام؟».
اجاب وهو يبتسم بوضوح:
«اجل».
وتحولت بنظرها الى الوادي المتشح بنبات الناعمة والى ما يحيط به من الجبال. وبدا الوادي مترامي الاطراف. وعجزت ان تتصور انه في مكان ما وراء الأفق تمتد طريق عامة معبدة تسير عليها السيارات والشاحنات وتحف بجنباتها البنايات والمنازل المزودة بالماء والكهرباء واجهزة تكييف الهواء. واحست ان عالم لاس فيغاس المزدان بأنوار النيون هو مظهر من مظاهر الخيال في هذا القفر الرائع.
وبينما هي تسرح شعرها علقت اسنان المشط بعقدة في مؤخرة رأسها. وحاولت تخليصه منها وهي تصيح الماً. فرنت من رايلي نظرة لدى سماعه الصوت. واجابت على السؤال الصامت في عينيه الخضراوين:
«لقد عششت العصافير في شعري».
واستمرت تحاول فك عقدة شعرها وهي تراقب رايلي ينصب الفخ ليختبر فاعليته بعد اصلاحه. وفور ان ضغط عليه انقطع حيث تم اصلاحه فجمعه رايلي وألقاه في النار.
واعترضت ليا اذ رأت الفخ يشتعل:
«الم يكن بامكانك اصلاحه؟».
هز رأسه سلباً:

«لا بد ان تفي الافخاخ الثلاثة الاخرى بالغرض».
ورمقها بنظرة جانبية، فلاحظ صراعها مع المشط. وقال:
«هل تحتاجين الى مساعدة؟».
تنهدت بيأس وهي تفرك موضع الألم في وسط رأسها، الناشىء عن شد شعرها تكراراً:
«ارجوك. فأنا لا استطيع ان ارى ماذا افعل. اني لا اكاد المس موضع العقدة».
فنهض وسار نحوها. واخذ المشط من يدها. وجثم بجانبها. وفك عقدة شعرها بعناية فائقة. ثم سرح بقية الشعر حتى انسدل على كتفيها. ورد المشط اليها. وطلبت في محاولة لابقائه قربها:
«هلا سرحت بقية شعري لكي اتأكد من خلوه من عقد اخرى؟».
الا ان صوتها المرتعش كشف عن رغبتها الخفية، فأجاب رايلي بعبوس وثبات:
«كلا، يا ليا».
فالتفتت اليه التفاتة جانبية، وقد عبرت عيناها البندقيتا اللون الواسعتان عن شوق شديد للمسته. ولم تفارق عيناه الخضراوان ثغرها الحلو. لكنه ما لبث ان حولها الى عينيها متمتماً:
«تلعبين لعبة خطرة يا ليا».
بلعت ليا ريقها بصعوبة. ثم تحدثت بصوت بالغ الهدوء:
«اعرف. ولكن...».
علق رايلي بوضوح:
«وضعنا يوفر من الاغراء ما يكفيك عناء المحاولة».
فحولت ليا نظرها واخفضت ذقنها اعراباً عن الموافقة. ومع ان ذلك لم يرض رغبتها الجامحة، اعترفت:
«طبعاً انت على حق».
واحتضنت يد سمراء ذقنها ووجنتها. والتمع الشوق في جفونه

السوداء الكثيفة وهوى الى وجهها المرفوع:

«كان لزاماً علي ان ارحل هذا الصباح طلباً للنجدة».

ولامست وجنتها اصابعه فيما رفت جفونها بسرعة تأثراً بلمسته الساحرة:

«كنت سألحق بك».

«اعرف ذلك».

وارتسمت فوق شفتيها ابتسامة رقيقة. ومال برأسه نحوها بفعل قوة خارقة. فعانقها بينما غمرت ليا سعادة عارمة طارت بها الى عالم رحب الآفاق، حيث احست ان رايلي يحلق قربها.

وفجأة استلقى رايلي على جنبه وهو يمسكها بأحد ذراعيه ويشدها الى صدره. وهبطت من عالمها الروحاني ببطء شديد. وعجزت عن التكلم لبضع دقائق. ثم همست بصوت غلبته رعشة دافئة:

«رايلي».

احتضن وجنتها بيده فيما وضع ابهامه على فمها محاولاً اسكاتها وهو يهمس بصوت بدا فيه الصراع مع رغبته الجسدية:

«ليا، اصمتي».

كان من السهل عصيان امره واقناعه بالغائه. وراودها شعور بذلك. بيد ان الشك لم يرق الى صواب منطقه. فاستلقت على ذراعه بلا حراك الى ان شعرت باسترخاء عضلاته المشتنجة، وادركت انه سيطر على نفسه تماماً. وقال بهدوء:

«حدثيني عن صديقك».

ما زالت جفون ليا مغمضة وقالت:

«من هو؟».

«مارفن الذي كنت تلتقينه وتخرجين معه».

قطبت جبينها وهي ترجع رأسها الى الوراء لتتأمل ملامحه الهادئة:

«من اخبرك عنه؟».

لم تبلغ نظرتها عينيه:

«سمعتك تتحدثين عنه وانت تهذين من الحمى».

والغريب انها لم تتذكر شكل مارفن. وخيل اليها انها لم تره لسنوات. فامكنها ان ترسم صورة لرجل حقير هزيل تعوزه الحيوية والرجولة الطاغية على رايلي الذي امسكها بذراعه. ثم اجابت من دون اكتراث:

«انه يعمل معي في المصرف. خرجنا معاً بضع مرات مما صنفه صديقاً. ولكن، ماذا قلت عنه؟».

«لا شيء».

صدقته اذ لا يسعها القول سوى ان مارفن لطيف ويحب امتلاك اصدقائه على نحو مثير. ودفعتها الغيرة الى موضوع شبيه، فألحّت:

«حدثني عن صديقتك».

فأجاب بسخرية وهو ينقلب على ظهره ويحدق الى زرقة السماء الباهتة:

«لا اعتقد ان هذا الوصف مناسب».

واحست بالألم في داخلها، فقالت بمرارة:

«حدثني عن عشيقتك اذن. قل لي هل هي... هل تعيش معك؟».

أمال رأسه لينظر اليها وهي مستلقية على ذراعه. وامتزج سواد شعرها باخضرار العشب. وقال بجفاء:

«انا اعيش بمفردي، عملي هو سيدي وسيدتي. صحيح انني صادقت عددا من النساء، ولكن ليست لي صديقة معينة».

كان يفترض ان يرضيها جوابه. ولكن عوض ذلك شعرت بالسخط. ومرت بضع ثوان قبل ان تعرف السبب. فجوابه يصنفها في مرتبة النساء الاخريات. واحست بغصة في حلقها. وهمست وهي ترغب ان تغير موضوع الحديث:

«قلت... قلت انك تعيش في لاس فيغاس. أين يقع منزلك؟».

«يقع منزلي في التلال خارج المدينة».
وحاولت ليا ان تظهر عدم اكتراثها:
«لماذا . . . لماذا اخترت لاس فيغاس؟».
«انها مناسبة لعملي. فهي لا تبعد كثيراً عن المناجم او اسواق البيع في كاليفورنيا واريزونا».
«هل تقضي وقتاً طويلاً في منزلك؟».
«اجل».
وردّت ليا رأسها الى الوراء لتنظر الى وجهه وهي تبتسم بشجاعة رغم الدموع التي تحاول الافلات من عينيها:
«هل اراك عندما نعود الى لاس فيغاس؟».
ساد الصمت لحظة شحنت بالترقب والانتظار. وعجزت عيناها الفاحصتان عن كشف شيء قبل ان يجيب وهو يختار كلماته بعناية:
«اظن اننا سنحتفل بعودتنا سالمين بتناول العشاء معاً ذات مساء».
كان ذلك افضل من عدم التلاقي. فوافقت مشيحة بنظرها وهي تلمسه:
«اتمنى ذلك».
وقبض على ساعدها ودفع يدها بعيداً. ثم ثبت ذراعيها فوق رأسها وهو يرفع وجهه لترى الغضب يتطاير من عينيه فيما صاح:
«لا تفعلي ذلك. هل تظنين اني مصنوع من حجر؟».
ادركت ان عليها ان تخاف من غضبه المكبوت. الا انها لم تفعل:
«آسفة يا رابلي. لكنني لا اقدر ان اتمالك نفسي. لا . . .».
وأفلتها بسرعة لينتصب واقفاً وقد قطب جبينه:
«بلى، انك تستطيعين. فأنت تعرفين تماماً كما اعرف ماذا يجري بيننا».
واستدار مبتعداً وهو يفرك عنقه بعنف:
«تعرفين اننا عشنا لوحدنا فترة طويلة بدا معها العالم الذي كنا فيه قبل ان تتحطم طائرتنا بعيداً. لكننا سنعود الى ذلك العالم. ومتى

عدنا، فإن الأيام التي قضيناها معاً تغدو حلماً وخيالاً لا اساس له من الواقع».
علقت ليا بصوت مفعم بالفضول:
«هل تعتقد ذلك؟».
اما هي، فلن يغير عالم الاسمنت الذي ستطأه بقدمها، حبها له.
واجاب بصرامة حتى لا تجادله:
«هذه هي سنة الحياة».
ثم اسرع نحو المظلة ليلتقط قميصه المعلق على احد عموديها.
«سأذهب لاتفقد الافخاخ».
راقبت ليا رابلي يبتعد. وفكرت بمعنى كلامه. هل قصد القول بأن من الخير ان لا تحبه لأنه لا يحبها؟ ثم التقطت المشط من المكان الذي القاه فيه. وبدأت تمرره في شعرها وتضرب به وسط رأسها لتقضي على القشعريرة التي طغت عليها.
لم يترك رابلي ليا وحيدة ويرحل طلباً للنجدة. الا انه لم يعد مع الغروب علماً بأنه لا يمكن ان يكون قد ضل الطريق اثناء تفقده الافخاخ المنصوبة بعيداً عن البركة وذلك بفضل معرفته الواسعة بالصحراء.
ولما حل الغسق امسكت ليا بالفانوس باحكام. وصممت ان تخرج للبحث عنه اذا لم يعد عند ملامسة الشمس لحافة الجبل. واضافت قطعة حطب الى النار، ثم نظرت الى الجبل.
ورغم انها لم تسمع اي همسة، فإن شيئاً دفعها لكي تستدير. ورأت رابلي يقف عند الظلال الرقيقة التي القتها اشجار الصفصاف بعد ان عاد الى المخيم بصمت اجداداه البدائي.
ولم تدرك ليا كم انتظرت رجوعه الا حين رأته يعود. واوهنها الفرح وتعبير وجهه المفعم بالجفاء والاعراض. فلم تلق نفسها بين يديه. وتأملها ببطء حتى استقرت نظرته على المصباح في يدها. فقالت مرتجفة:

«كنت... كنت انوي ان ابحث عنك لاني توقعت ان يكون قد اصابك مكروه ان لم تعد مع غياب الشمس».

لم تتبدل تعابير وجهه وهو ينتزع المسدس من وسطه ويعيده الى صندوق الاسعافات الأولية. ثم تهادى نحو النار.

ولما لم يبرر رابلي غيابه، سألته ليا:

«اين كنت؟».

لم يبد عليه اي اثر للتعب. غير ان حبات عرق علقت على قميصه. واخذ جموده منها كل مأخذ.

ثم تناول جرعة كبيرة من القنينة وهو يتحاشى عينيها الفاحصتين:

«كانت الافخاخ خالية ولم اوفق في اصطياد اي طريدة».

احاطت ليا نفسها بيديها اتقاء لهجوم اليأس المباغت. ثم نظرت الى النار:

«لست جائعة».

الا انه قال بثبات:

«لكنك ستأكلين في اي حال».

فتنهدت. ثم ضحكت بمرارة:

«اجل. فعلي ان استرد قواي، أليس كذلك؟».

فحدق الى جسمها المتكور:

«بلى».

نظرت ليا الى وجهه الهادىء الذي ينم عن عدوانية الرجال. لقد طال شعره الأسود منذ حادث التحطم، وتجعّد فوق ياقته القصيرة. وكان قميصه مفتوحاً يكشف عن صدره البرونزي الصلب. وتماوجت عضلاته وهو يسد القنينة. فعصفت بليا رغبة صارخة للمسه. وقالت بصوت ينبض بالشوق:

«رابلي...».

هل صوّر لها خيالها ان وجهه زاد شحوباً؟ ام كان ذلك حقيقة؟

وتقلصت احدى عضلات وجهه دون ان يلتفت اليها. وابتعد عن النار:

«سأملأ القنينة فيما تقررين اي نوع من المعلبات تعدين الليلة».

دفعت حركته ليا للوقوف:

«لست جائعة الآن».

واسرت بلهفة بينما ربض بجانب البركة تاركاً القنينة تطفو على سطحها.

«هلا اصغيت الي يا رابلي؟ انا احبك».

واحست انها كانت ستنفجر لو انها اخرت اعترافها.

لم يثر قولها اي ردة فعل، حتى ان جفنه لم يرف. وظل يراقب الماء ينساب في القنينة. لكن، كان على ليا ان تفهمه انها تعني ما تقول. واضافت بسرعة:

«اعرف انك تظن ان الانشداد الحسي بيننا هو نتيجة طبيعية لوضعنا الراهن. فُقد عشنا وحيدين معاً بضعة أيام في تكامل ومودة. وبذلك تخطينا اعراف المجتمع التقليدية. ولكن يا رابلي ليس الانشداد الحسي هو كل شيء بيننا. فأنا احبك. واقول لك ذلك الآن، وسأقوله بعد عودتنا الى حياة المدينة. ولن يغير شعوري هذا اي شيء».

شد القنينة ليقف ويعلن بجمود:

«سنرحل في الغد».

اهتز رأس ليا وانحنى من ردة فعله غير المنتظرة.

«ظننت... ظننت اننا سنبقى... يوماً او يومين اخرين حتى...».

وانهى رابلي جملتها دون ان يتطلع اليها:

«حتى تصبحين اقوى. فكّرت قبل عودتي الى المخيم ورأيت ان لا هدف من تأجيل رحيلنا. واعتقد انك تعافيت بشكل يسمح لك بالسفر. وسأحملك ان اقتضى الأمر».

هزت شعرها الذي صبغته الشمس بعجز:
«هل... هل سمعت شيئاً مما قلته؟».
لمحت في عينيه قسوة وسخرية وهو يجيب:
«ماذا تتوقعين ان ارد على ما قلته؟».
ماذا توقعت؟ لم تعرف لفرط ما اذلت. لم تظن انه سيقر فجأة بأنه يحبها. الا ان مغالاته في عدم الاكتراث بما قالت مزقها شر تمزيق. وكل ما عرفته انها رغبت في رد اذاه باذى آخر.
ودفعت يدها بسرعة خاطفة لتصفع راحتها خده النحيل بعنف. فاستشاط غضباً. وامسكت اصابعه يدها بقوة وكأنه يعاقبها ثم لوى ذراعها الى الخلف حتى كادت تحس ان يدها كسرت. وصاحت مذعورة:
«انك تؤلمني».
ابتسم برضى:
«حقاً؟».
ثم حول ضغط اصابعه من دون ان يخفف الألم الشديد. وجذبها اليه. فلامس وركاها فخذيه العضليين. وراحت يده الاخرى تلف شعرها بقسوة حول اصابعه وتدفع رأسها الى الوراء. واستسلمت ليا امام عنف رابلي. وحاولت ان تداعبه. الا انه دفعها عنه بشدة. وراح ينظر اليها باحتقار وهو يتنفس بصعوبة. وقال بلهجة جارحة:
«لن تفلحي في دفعي الى اغتصابك».
صاحت:
«انا؟».
اغرورقت عيناها بالدمع. ولم تجد ما تقول، فاتهامه باطل. وعاد الدم يجري في شرايين ذراعها التي لواها رابلي. ولما حاولت ان تزرر بلوزتها، وجدت ان معظم الأزرار قد قطعت فقال لها:
«لقد اتلفت ملابسك وعليك ان تلبسي احدى قمصاني».
ونبشت اصابعه شعره الكثيف الاسود فيما سار بسرعة ليحضر

القميص التي لبستها ليا كرداء من قبل. ثم دفعها اليها متجنباً النظر الى عينيها الدامعتين مباشرة:
«سأبدأ تهيئة العشاء».
اطبق الصمت على المخيم. وتناولت ليا عشاءها وقد احدودبت كتفاها لاحتواء الألم. ولشدة غضبها لم تحاول ان تقطع الصمت لأنه لم يشبه الصمت بين غريبين بل صمت عدوين متخاصمين متنازعين.
ولما حل الليل، تدثرت ليا بالبطانية من دون ان تسأل رابلي اذا كانت هناك ضرورة للنوم المبكر استعداداً للرحيل في الغد. وقد ادركت انه لن يجعلها تتوسد ذراعيه اثناء النوم.
سال الدمع على وجنتيها بينما ادارت ظهرها للنار ولرابلي. ومع انه جرح كبرياءها، جرحاً بليغاً، فإن مشاعرها تجاهه لم تتغير. وهي لا تزال تحبه كما كانت. ولن يغير ذلك شيء.
واندفعت نجمة في السماء كالسهم. فراقبتها ليا الى ان حجبتها الدموع المتلألئة في عينيها. ثم شدت البطانية حول كتفيها. الا ان قلبها كان مصدر البرد والقشعريرة.

٩- اللقاء

ابيضت اصابع ليا الممسكة بالعصا. وشعرت بغصة في حلقها وهي تلقي نظرتها الأخيرة على الواحة التي شهدت اعلان حبها.

وامتدت فوق البركة ظلال كثيفة مع خيوط الفجر الاولى. فبدت البركة مظلمة وغامضة وكأن ابواب الفردوس اغلقت خلف ليا.

ستخمد نيران المخيّم. ويتبعثر الرماد. ولن تلبث ريح الصحراء ان تمحو كل اثر لوجودهما، فيما تعود البركة ملكاً لحيوانات الغابة.

قال رايلي بعدم اكتراث وهو يهز كتفيه ليصحح وضع الحزمة المشدودة الى ظهره:

«هيّا بنا».

هزت ليا رأسها موافقة. ثم ادارت ظهرها للمشهد مرغمة. وتحاشت النظر الى عينيه الخضراوين كلما استطاعت ذلك لان الجفاء فيهما اربكها.

لم يشاطرها رايلي الحزن عندما غادرا المكان حيث عاشا فترة قصيرة من التقارب النفسي والحسي. كانت اسرة ليا تنتظرها في آخر الطريق. ولكن ليا ادركت في قرارة نفسها انها لو خيّرت، لبقيت هنا مع رايلي. ولو ان تلك كانت عاطفة خيالية تفتقر الى المنطق والتطبيق.

لكنها احبته؟ الله كم احبته؟

وتقدم رايلي المسيرة كالعادة. الا ان خطوته كانت ابطأ من ذي قبل. وادركت ليا انه فعل ذلك للاحتفاظ بقوتها. لم تثقل كاهلها اي حزمة هذه المرة اذ حمل رايلي كل امتعتها.

ولم تتعب ليا خلال ساعات السير الاولى، التي تخللتها محطات استراحة طول الواحدة منها عشر دقائق، بسرعة كما توقعت. ثم

بلغت الشمس ذروتها. واخذت حرارتها تلفح ظهر ليا.

اقام رايلي مخيماً جديداً وسط الوادي الصحراوي على جانب الطريق المتآكل الذي سارا عليه اميالهما الاخيرة. واستلقت ليا متعبة تحت المظلة. ثم رشفت بعض الماء قبل ان تغمض عينيها.

انعشتها القيلولة بعض الشيء. وقبل ان يستأنفا السير سأل رايلي ليا ببرودة عن صحتها. فاجابت بعدم اكتراث:

«انني بخير».

شعرت بالتحسن مؤقتاً. لكن الوهن اصابها بسرعة اكثر من الصباح. كانت اسنانها تصطك مع كل خطوة مشتها. وخيّل اليها ان محطات الاستراحة التي تمتد كل منها عشر دقائق بدأت تقصر. وشعرت بالضعف يهاجمها، الا انها سارت وهي تشد على اسنانها.

لم يبتعد رايلي عنها غير خطوات قليلة. وحثتها خطواته الرشيقة على متابعة السير وهي تفكّر انها تعيقه. فلولا وجودها معه لكان قطع مسافة اطول. وأدركت بأسى ان رايلي صمّم ان يحصل على المساعدة، والا يقضي معها ساعة واحدة اكثر مما يجب.

اصطدم كاحل ليا بحجر، فوقعت على ركبتيها. واذ بيده تمسك بذراعها لتساعدها على النهوض. فانتزعت يدها من قبضته، وانتصبت واقفة وهي تقول بحدة:

«استطيع ان اقف معتمدة على نفسي».

ونفضت ليا الرمل العالق براحتيها على بنطالها. وتأملها ببرودة:

«هل اصيب كاحلك؟».

تفحصت ليا كاحلها بحذر شديد حيث احست الماً بسيطاً:

«هيا بنا، فانه بخير».

وأعطاها رايلي العصا التي رمتها. ثم تابعا المسير.

وقبل غروب الشمس توقفا ليبيتا الليل. وارتمت ليا على الطريق المتآكل متعبة وهي تسند رأسها على ركبتيها المنهكتين. ودفع رايلي القنينة اليها فيما تخلّص من حمله. وارتجفت يداها من شدة التعب.

ولم تستطع ان تثبت القنينة على شفتيها دون ان يضيع الماء. واخيرا اضطر رايلي ان يضعها بنفسه على شفتيها.

اخرج رايلي قطعة لحم مقدد من الحزمة:

«لا يوجد عندنا ماء يكفي لتحضير وجبة طعام معلب».

دفعت ليا قطعة اللحم بعيداً عنها:

«لست جائعة».

وامرها:

«هيا كليها».

فاخذتها ليا مرغمة وهي تتذمر:

«انني منهكة للغاية».

«سأذهب لأبحث عن شيء اشعل به ناراً».

مضغت ليا قطعة اللحم بتعب. وانتهت من تناولها قبل عودة رايلي. فتمددت على الارض الصلبة غير المستوية. ولم تفتح عينيها عندما سمعت خطوات رايلي الذي دثرها بالبطانية. كانت ليا متأكدة ان الألم في عضلاتها لن يجعلها تشعر ببرد الليل. ثم سمعت رايلي يشعل ناراً، فتوقعت انه احضر وقوداً. وما هي الا لحظات حتى تقززت من رائحة مادة نتنة كانت تشتعل.

وانقلبت على ظهرها وهي تضغط على انفها وتنظر الى رايلي:

«ما... ما هذا؟».

«لم اجد حطباً. لكني عثرت على بعض روث البقر. رائحته كريهة، لكنه يشتعل. ونحن بحاجة الى نار نتدفأ بها».

شدّت ليا البطانية فوق رأسها لتحاول التخلص من الدخان ذي الرائحة الكريهة. وانساها التعب ما حولها حتى انها لم تتذكر غروب الشمس. امسكت يد بكتف ليّا، فافاقت مرغمة وقد غشي نظرها من النوم العميق ورأت عند رأسها حذاء علته اردان سروال متسخ.

وارتفع نظرها الى البزة المتناسقة التي غطت فخذي رايلي العضليين ووركيه وخصره وكتفيه العريضتين. ثم التقت عيناها بعينيه

الخضراوين.

ومع انها رأت نور الصباح، تذمرت:

«لا يمكن ان يكون الفجر قد بزغ».

قال رايلي بثبات دون ان يمد يداً للمساعدة:

«هيّا. انهضي».

احسّت ليا بتشنج في عضلات رجليها ومفاصلها. ولاحظت بعض آثار التعب على رايلي. فتعزت بعض الشيء.

وضع رايلي الحزمة على ظهره في غضون دقائق. ثم استأنفا السير. ولم ترتخي عضلاتها المتشنجة، بل ازداد المها مع كل خطوة خطتها. فزاد اعتمادها على العصا لتحافظ على توازنها حين كادت ركبتاها تنثنيان.

وفي محطة الاستراحة الثانية لم تجرؤ على الجلوس خشية الا تتمكن من النهوض. والقت بثقلها على العصا اذ فاق تعبها قدرتها على الاحتمال. ونطقت بصعوبة وبطء لا يصدقان:

«كم علينا ان نسير بعد؟».

امسكت يدا رايلي بذراعيها، واجلسها:

«لا ادري».

واعترضت ليا بعد ان جلست:

«اخشى الاّ اتمكن من النهوض».

وتمدد جسمها تلقائياً على الارض الصلبة فيما ارتخت عضلاتها من الارهاق. اجاب:

«انك بخير».

وحبس ضيق نفسها ضحكتها:

«صحيح؟».

وتحرّك جفناها بثقل. ولما فتحت عينيها، رأت رايلي يجثم بقربها ويضع على شفتيها سيكارة مشتعلة. ويبتسم برقة:

«هذه آخر سيكارة لدينا، وعلينا ان نتقاسمها».

امسك رابلي السيكارة بينما اخذت هي نفساً طويلاً من طرفها المزود بالفلتر. وكان تصرفه مناسباً لان ليّا شكّت بقدرتها على امساك السيكارة. ونفثت الدخان باعياء:

«اشعر كأني رجل يحتضر ويدخن سيكارته الأخيرة».

اعطاها نفساً آخر من السيكارة:

«استريحي ولا تتكلمي».

وفيما احست ليا اصابع رابلي تلمس شفتيها، استغربت ان يكونا قد تحدثا في هذه الدقائق اكثر مما تحدثا في نهار الامس بكامله. هل بلغ التعب بهما حداً انساهما التنافر؟

وبعد ان سحق رابلي السيكارة بحذائه في الرمل، اوقف ليا. ولم تستطع ان تمنع نفسها من الاتكاء عليه باعياء. لكنه ابتعد عنها، وسندها بيديه لا بجسمه. وادركت انه لا يحطم كل الحواجز بينهما. ووضع العصا في يدها، فالقت بثقلها عليها.

ومع انهما سارا متمهّلين، فان ليا بذلت جهداً كبيراً مع كل خطوة خطتها. وكادت رئتاها تنفجران من الارهاق. الا ان انفاسها المتسارعة حفزتها على السير قدماً.

وتوقف رابلي بعيداً عنها. ثم صاح بصوت ملأته الحماسة:

«انظري».

وقفت ليّا بجانبه تحاول التركيز بنظرها على الجهة التي حدّق نحوها. لكنها لم تر سوى ارض منبسطة مترامية الاطراف غطاها نبات الناعمة. واتسع الممرّ الجبلي ليزيدها امتداداً.

ولما لم تر شيئاً يعطيها قبساً من الامل، سألت بصوت مبحوح:

«اين؟».

ركز بصره على النقطة البعيدة:

«ان لم اكن مخطئاً، فاني ارى بيوتاً زراعية هناك الى اليمين قرب سفح الجبل».

ولم تستطع ان تتبيّن سوى مربعات سوداء. ودهشت لانه تمكن

من رؤيتها اصلا. ثم سوى رابلي احزمة حمله المؤقت. ونظر الى ليا:

«هيّا بنا».

غيّرا اتجاههما في الارض المفتوحة قاصدين البيوت. واعطى الامل بالحصول على المساعدة في هذه المنازل ليا دفعة جديدة من النشاط. ولكنها سرعان ما تبخرت آخذة معها ما تبقى لديها من قوة وتناسق. وغدت رجلاها واهيتين كالمطّاط الطريّ، وخذلتاها فجأة، حتى ان العصا التي توكأت عليها، لم تسندها. ووسط حالة من الاغماء احست ليا بيدي رابلي ترفعانها، فتنهدت:

«لا جدوى. فانا لا اقدر ان اسير اكثر».

قال بثقة:

«بلى تقدرين».

اوقفها واضعاً ذراعيها حول عنقه وعلى كتفيه فيما طوّقت ذراعه الاخرى خصرها. ثم تابعا المسيرة بين حمل ليا وجرّها. وحاولت ان تمشي لتساعده. الا ان رجليها المنهكتين خذلتاها. وافاقت ثانية على رابلي يرفعها على ذراعيه بينما اتكأ رأسها على كتفه. واحست انها اشبه بدمية من القماش، وان رأسها يدور في حالة من الذهول والاعياء. وشعرت في غيبوبتها بالاجهاد الذي اصاب عضلات رابلي نتيجة حمله لجسمها الثقيل. فطلبت منه:

«اتركني يا رابلي».

رفض بدون تحفظ:

«كلا، لن اتركك».

لكن موجات الوهن انتابتها وشلّت قدرتها على الاعتراض. فضاعت عن رشدها، وكادت تنسى الذراعين اللتين حملتاها اثناء السير.

واخيراً انفتحت عيناها لدى سماعها نباح كلب حاد. ونظرت الى

www.rewity.com/vb

كتف رايلي، ثم ادارت رأسها قليلا لتتمكن من التطلع الى الامام.
وثقلت خطوات رايلي بسبب الكلب الضخم الذي اعترض طريقها. ووقف خلفه بيت ابيض من الغبار المتراكم عليه. وأسدلت على نوافذه ستائر فيما نشر في ساحته بعض الغسيل.

وانغلق باب الشريط المنخلي الموضوع على بوابة البيت بعنف.
وسمع صياح امرأة تنادي:

«لايدي تعال الى هنا».

توقف الكلب عن النباح. ثم تراجع الى البوابة. وخرجت المرأة من دائرة الظل وهي تقي عينيها من بريق الشمس فيما تعلقت طفلة برجليها. وقالت بمودة ولطف:

«من انتما؟».

وقف رايلي على بعد بضعة اقدام من البوابة والكلب. ثم قال بهدوء:

«تحطمت طائرتنا في الجبال قبل احد عشر يوماً، وزوجتي تحتاج بعض الماء والراحة. هل نستطيع الدخول؟».

هتفت المرأة:

«اجل. اجل».

ثم صفقت للكلب وأمرته أن يذهب، وقالت:

«أبلغنا انا وزوجي بالحادث. لكننا لم نعرف ان الطائرة تحطمت في مكان قريب من هنا. تفضلا. تفضلا بالدخول».

لم تسمع ليا معظم كلمات المرأة اذ كان قلبها لا زال يخفق لعبارة رايلي «زوجتي». تأملت بولَه، عينيه الخضراء اللون ووجهه القذر المتعب والطافح بالقوة والبأس. هل عنى ما قال ام كان كلامه مجرد مجاز؟

فتحت المرأة الباب فيما ظلت الطفلة متعلقة برجليها:

«هل انتما مصابان؟ هل استدعي الطبيب ام سيارة الاسعاف؟».

«كلا. انه مجرد ارهاق من السير الطويل».

ووقف رايلي داخل الباب:

«اين يمكنها ان تستريح؟».

ادخلتهما المرأة الى حجرة الجلوس:

«توجد في حجرة الجلوس اريكة. تفضلا من هنا. ساحضر بعض الماء».

واسرعت بالخروج من الغرفة. ولحقتها الطفلة كظلها.

القى رايلي ليا على الاريكة بهدوء. ثم كوم بضع وسادات تحت رأسها:

«هل انت مرتاحة؟».

ابتسمت بشحوب:

«لا اعرف شيئاً مريحاً كهذا. رايلي...».

لم تكن قد انهت جملتها عندما عادت المرأة وهي تحمل ابريق ماء وبعض الاكواب على الصينية.

رشفت ليا الماء بنهم من الكوب الموضوع على شفتيها. ثم عادت فاستلقت على الوسائد بعد ان استردت شيئاً من قوتها.

تخلصت المرأة من الطفلة المتعلقة برجليها. ثم انحنت نحوها:

«اذهبي الى حظيرة المواشي يا ماري. وقولي لوالدك ان يحضر بسرعة».

ثم استدارت نحو رايلي الذي كان يصبّ كوب ماء لنفسه:

«هل يمكنني ان احضر لكما شيئاً آخر؟ اي شراب أو طعام؟».

نهض عن الاريكة:

«ارجو ان ترشديني اولا الى الهاتف لاخبر السلطات ثم احضري لنا بعض القهوة السوداء اذا سمحت».

تجاوزت ماري رايلي بحياء. ثم اندفعت خارجاً. واغلقت باب الشريط المنخلي بعنف فيما ركضت نحو والدها.

«الهاتف في المطبخ. وانا اعدّ بعض القهوة».

نظر رايلي الى ليا المستلقية على الاريكة:

«ستتعافين. وسأتركك بضع دقائق».

فطمأنته برقة وقد غمرها دفء الحنان الملتمع في عينيه الخضراوين:

«انا بخير».

ولما خرج رايلي والمرأة من الغرفة، استرخت ليا فوق الوسائد. وبدا غريبا ان تعيش تحت سقف وبين اربعة جدران بعد ان ظللتها السماء والهواء الطلق. الليلة ستستحم في الماء الساخن، وستلبس ملابس نظيفة وتنام على فراش وثير. انها ستفعل كل ذلك.

اسرعت المرأة الى غرفة الجلوس وقد تألقت البسمة على ثغرها. وفجأة بدا وجهها في غاية الجمال بسبب الكلف الذي اكتسبه من شمس الصحراء. وقالت:

«هذه هي قهوتك. انها سوداء وحلوة وساخنة كما طلبها زوجك. لقد اوصى بان تشربيها كلها».

جلست ليا مستعينة بالوسائد. وفيما امسكت كوب القهوة بيديها، اكسب الخجل وجهها بعض اللون:

«رايلي ليس زوجي».

كم تمنت لو تقدر ان تقول عكس ذلك. وفوجئت المرأة. لكنها ضحكت لتخفي ارتباكها:

«اعتقدت... اعتقد انني افترضت من دون تفكير انكما متزوجان، آسفة».

واصرت ليا وهي ترشف القهوة وتسترد بعض قوتها:

«لا داعي للاعتذار».

اضافت المرأة وهي تقدم نفسها الى ليا:

«اسمي تينا ادواردز»

اجابت ليا:

«ليا تالبوت».

«لا بد انكما مررتما في محنة».

محنة؟ كيف يمكنها ان تشرح للمرأة انها لم تكن محنة رغم صدمة الحادث والايام التي اصابتها فيها الحمى والهذيان نتيجة التهاب جرحها. لم تقدر ليا ان تصف الوقت الذي قضته مع رايلي بانه محنة. فلقد عاشا حياة رعوية بدائية تتسم بالرضى والطمأنينة. واجابت وهي تختار كلماتها بعناية:

«لم تكن في الحقيقة قاسية الى هذا الحد».

واضافت في سرّها ان اليوم والبارحة كانا اسوأ ايام المحنة حين ابتعد رايلي عنها.

اومأت المرأة برأسها:

«استطيع ان اتصور ان السير في هذا الحرّ الشديد مسافة قصيرة يكفي لارهاق الانسان».

وأقفل الباب بعنف، ثم هرولت الطفلة الى داخل الغرفة لتقف بجانب امها وتتطلع الى ليا. وسمع وقع اقدام اخرى ثم صوت رجل غريب يتحدث الى رايلي. وقالت المرأة:

«هذا هو زوجي، مايك وكان يعالج احد الاحصنة في الحظيرة».

رشفت ليا مزيداً من القهوة ونبّه السكر والكافايين اعصابها. ثم رفعت نظرها عندما دخل رايلي الغرفة بصحبة رجل اقصر منه قامة يلبس نظارة شمسية ويضع على رأسه قبعة من القش يلبس مثلها رعاة البقر.

ارتسمت حول عيني رايلي وفمه امارات الارهاق الشديد. فاستغربت كيف انه لا يزال متماسكاً. وقال رايلي بصوت متعب كوجهه:

«تطوّع السيد ادواردز لايصالنا الى تونوبا حيث تستقبلنا اسرتك التي ابلغت انك ما زلت حية ومعافاة».

وسألت:

«هل سنغادر الآن؟».

«فور انتهائك من رشف القهوة».

رفعت ليا الكوب الى فمها وهي تخفي تنهيدة ندم. لقد منّت نفسها بالانفراد برايلي بعض الوقت. لكنه بدا وكأنه يتحاشى اي فرصة للاختلاء بها. وافتقرت في معارضة خططه الى المنطق. لكنها ستتحدث اليه فيما بعد، ولن تدعه يوقفها عن الكلام. ثم رشفت ما تبقى من القهوة، وقالت:

«انا مستعدة».

ولما انحنى رايلي ليرفعها بين ذراعيه. هزت رأسها:

«ما زلت اترنح قليلا. لكني اظن نفسي قادرة على السير».

واطبقت اصابعه على كوعها ليساعدها على الوقوف. فترنحت قليلا، ثم توازنت. بيد ان رايلي لم يرخ قبضته. وكانت لمسته باردة وجافة وهو يقودها الى الباب.

وعندما توقفا امام الباب، ابتسمت ليا:

«اشكرك يا سيدة ادواردز على كل شيء».

وودع بعضهم بعضاً قبل الانطلاق الى السيارة حيث جلست ليا في المقعد الخلفي لكي تتمكن من التمدد والاسترخاء كما قال رايلي. كانت متعبة «فاستراحت». الا ان افكارها ظلت مشوشة تتجه نحو الرجل الجالس امامها. ولم تستطع التركيز على التفكير بترحيب اهلها بها عند وصولها.

وعلى بعد بضعة كيلومترات من البيت اتصل الطريق الزراعي بشارع فرعي يؤدي الى الطريق العام. واسرع مايك ادوارد بحيث لم يمكن رؤية اعمدة الهاتف والكهرباء بوضوح. ومع ذلك، مرّت ساعة او اكثر قليلا قبل ان يصلوا الى ضواحي تونوبا.

وتوقفوا امام مبنى ضم مكتب مدير الشرطة. واستقامت ليا في مقعدها وهي تتأوه من الألم في عضلاتها. واطبقت اصابعها على مسكة الباب. الا ان رايلي كان قد ترجّل من السيارة وفتح لها الباب. وشدّت يده على كوعها ليساعدها على الترجّل من السيارة والوقوف بثبات على الرصيف. لكنها قاومته عندما حاول ان يقودها نحو

البناية. عندما تفحصت عيناه الخضراوان ليا، تكلمت بصوت خفيض كي لا يسمعها مايك ادواردز:

«رايلي. ارجوك. يجب ان نتحدث».

امال رأسها الاسود، وقد تعمّد الغباء:

«نتحدث؟ عمّ تريدين ان نتحدث؟».

بلعت ريقها بصعوبة:

«عن انفسنا».

اجاب بخيلاء وهدوء:

«ليا. لا ارى....».

وقاطعه صوت رنان مألوف لليا هاتفاً:

«ليا. ليا».

استدارت قليلا نحو مصدر الصوت. فعلت ثغرها ابتسامة سعادة عارمة اذ رأت شاباً طويلا نحيلا رملي الشعر يندفع نحوها. وصرخت:

«لوني».

واختنق صوتها من فرط السعادة وهي تنادي شقيقها. فصرخت ثانية:

«لوني».

وتقدمت منه خطوة. ورأت خلفه عن بعيد والدها وقد ارتدى بزة السلاح الجوي الزرقاء ويجلس بجانب والدتها. ثم طوقت خصرها يدا لوني الذي رفعها معانقاً. وقبل ان يتأكد من صحة ما يرى خبأ رأسه في شعرها الذي لونته الشمس وهو يردد:

«انك ما زلت بخير. انك ما زلت بخير. اليس كذلك؟».

اجابت ليا مبتهجة:

«اجل، اجل، انني بخير».

واخيراً اوقفها على الارض ليحدق اليها. وامتلأت عيناه البنيتان بالدموع كالنساء. وقال بلهجة عززت الرباط المتين بينهما:

«ايتها الطفلة الحمقاء. ما الذي فعلته؟».
انفجرت باكية:
«كنت قادمة لأفاجئك في عيد ميلادك».
«ليا يا حبيبتي».
ولدى سماع لوي صوت امه، التي بكت من شدة فرحها، ارخى قبضته عن شقيقته لتتمكن من رؤية والديها.
وما لبثت والدتها ان ضمتها. فطوقت ليا والدتها بذراعيها وهي تشعر بالفرح والطمأنينة يغمرانها. وكررت امها هامسة:
«يا حبيبتي، يا حبيبتي، قلقنا عليك كثيراً حتى حسبوك في عداد الموتى، كنا. . .».
«انا بخير يا اماه».
وافلتت ليا احدى يديها لتلف خصر والدها الذي انتصب بجانبها وهو لا يستطيع التعبير عن سعادته ونشوته. ومرغت وجهها بازرار بزته فيما راح يربت شعرها بيده:
«لقد خفنا عليك كثيراً يا بنيتي».
همست ليا:
«اعرف يا ابي».
ردّت راسها الى الوراء لتنظر وجهه. فلمحت في عينيه اشراقة حب عظيم لم يسبق التعبير عنه بالكلام. وبعد ان مسحت والدة ليا الدموع من عينيها، حاولت ان تمسح دموع ابنتها:
«يا الهي. كيف اصبحت؟ اكاد اقول ان هذا طيفك يا ليا. فثيابك ممزقة ولا بد ان وزنك قد نقص بضعة كيلوغرامات. وانت تبدين سمراء كالهنود».
ابتعدت ليا عن والديها لتنظر خلفها بجنون. لم تجد رابلي قرب السيارة حيث تركته. فتملكها الخوف. ثم لمحته على مقربة من مدخل البناية. ولحقت به بعد ان تحررت من عناق والديها متجاهلة ارتباكهما.

«رابلي».
واسرعت نحوه وهي تنادي ثانية:
«رابلي».
ولاحظت انقباض عضلات كتفيه وهو يتردد ثم يقف. واستدار في مكانه مرغماً وقد بدت عليه علامات الانزعاج. وادركت رغبته بان يتسلل بدون ان يلاحظه احد فيما اجتمع شمل الاسرة. وصاحت:
«لا تتركني يا رابلي. . .».
وحاولت ان تخفي كبرياءها:
«اود ان تتعرف على اسرتي».
اجتاز رابلي المسافة التي تفصله عنهم بخطوات عريضة تنم عن رغبة شديدة في انهاء هذا الوضع. لا بدّ ان ملامح هذا التمثال الجامد قد قدّت من صوان، وان عينيه لا تعكسان احاسيس البشر. لقد بدا نبيلا ومتعجرفاً وخالياً من الشعور. وخشيت ليا ان تصير حجراً مثله ان هي لمسته. فعرّفته باسرتها سريعاً. فيما تجمد قلبها امام بسمته المهذبة ومجاملته الجافة. وقالت بتشنج:
«هذا هو رابلي سميث الذي تقاسمت معه اجرة الطائرة».
واضافت بارتباك وعصبية:
«لولاه لما كنت هنا».
ثم تبادلوا معه بضع مجاملات قبل ان يتراجع معتذراً:
«تشرفت بمعرفتكم جميعاً. ولكن، ارجو ان تعذروني لان لدي عملاً انجزه، خصوصاً انكم ترغبون بالانفراد بابنتكم».
وعندما هم بالانصراف، امسكته ليا بذراعه:
«الى اين تذهب؟».
تطلّع رابلي الى يدها الممسكة بذراعه. ثم حوّل نظره الى وجهها الممتقع:
«الى مكتب مدير الشرطة لاقدم له تقريراً عن تحطم الطائرة».
لم ترد ان يغيب عنها مخافة ان لا تراه ثانية:

«يجب ان اذهب معك».

اصرَّ على رفضه:

«اني واثق من قدرتي على اجابة كل الاسئلة. واذا اراد مدير الشرطة ان يتأكد من روايتي، يمكنه ان يسألك. يجب ان تأخذي قسطك من الراحة. فانت الآن متعبة للغاية ولا تملكين القدرة على التفكير السليم».

فهمت ليا معنى كلامه... لقد خيِّل اليها انها تحبه. فعضت على شفتها السفلى لتخفي ارتعاشها. والحَت والغصة تخنق كلماتها:

«لا ادري».

وطوّقت خصره بذراعها ثم علقت به وهي تدفع رأسها في صدره لتسمع خفقات قلبه وتتأكد انه لم يصنع من حجر. وطرحت كبرياءها جانبا وهمست بصوت لا يكاد يسمعه سواه:

«متى يمكنني ان اراك؟».

ارتعشت يداه فوق كتفها في لحظة انفعال. ثم انزلهما بثبات ليمسك بذراعيها ويدفعها بعيداً عنه. ودمعت عيناها وهي ترى قسوته عليها وعدم اكتراثه بها. وامتعضت حين قال لها وهو يتصنع الابتسام:

«اذهبي مع والديك يا ليا. وتناولي بعض الطعام. ثم نامي قليلا. وستعتشى ذات يوم معاً، ونسخر من محنتنا».

وتردد قليلاً وهو يلتفت الى والديها قبل ان يفلتها ويمضي في سبيله. وراقبته يبتعد عنها بسهولة جعلتها تحسّ الماً شديداً تمنت معه لو انها ماتت. ثم استعادت توازنها. واستدارت نحو افراد اسرتها ناظرة اولا الى لوني.

دقق شقيقها النظر الى قميص رايلي الذي لم تفصله عن جسمها اي ملابس داخلية. والتقت عيناه بعينيها قبل ان يحولا ابصارهما الى والدهما. وتابعت نظراته الفاحصة رايلي وهو يدخل البناية.

عرفت ليا افكارهم. لقد اتضح لهم الآن ان ابنتهما امضت احد عشر يوماً في صحبة رجل غريب، وحيدين. فلعلهم يتساءلون...

وطوّقت ذراع لوني كتفيها. ثم شدها اليه:

«لنذهب بها الى الفندق حيث تستحم».

وابتسم لوالديه وهو يتأمل عيني والده:

«بعد ذلك يمكننا ان نتناول الطعام خصوصاً اني مدين لليا بعشاء عيد ميلادي».

www.rewity.com/vb

١٠ - المواجهة الأخيرة

دفعت يد شعرها خلف اذنها برقة، ثم استقرت على وجنتها بلطف. وسمعت صوت رجل:

«افيقي يا ليا».

تحركت جفونها دون ان تنفتح فيما مرغت وجنتها بيد الرجل. وهمست مبتسمة:

«هل قلت لك اني احبك؟».

رد ساخراً:

«لم تقولي ذلك اخيراً».

«احبك يا رايلي سميث».

«افيقي يا ليا، انك تحلمين».

فتحت عينيها مذهولة. ومع شدة ارتباكها ادركت انها لم تكن نائمة بين ذراعي رايلي. فقد رقدت في السرير واسندت رأسها الى مخدة بدل ان تسنده الى كتف رايلي. ووقف شقيقها لوني بجانب السرير عاقداً جبينه بينما كانت يداه في جيبه. وخجلت عندما اكتشفت انها ظنت خطأ شقيقها رايلي سميث. وتوقعت الاستنتاج الذي طلع به لوني من عبارتها. ثم انقلبت على ظهرها وقد ادارت رأسها نحو النافذة والستائر الكثيفة المسدلة عليها لتمنع دخول الشمس. وقالت وهي تتجاهل ما افصحت عنه:

«حان وقت العشاء».

قال ببعض المرارة:

«العشاء؟ نمتِ حوالى ست وثلاثين ساعة».

«حقاً؟».

وحاولت ليا الجلوس. لكنها تذكرت انها لم تكن ترتدي ملابس،

فشدت ذراعها على الغطاء قبل ان تجلس. وخيل اليها انه لم تمر غير ساعات قليلة على طلب امها اليها ان تستريح بعد ان تستحم. وعبثت بشعرها بعصبية:

«كان من المفترض ان تذهب امي لتشتري لي بعض الملابس».

اومأ برأسه سريعاً الى الكرسي:

«ها هي الملابس على الكرسي. اما الآن، فسأذهب الى الغرفة المجاورة حيث يجلس والدي فيما ترتدين ملابسك».

ثم وقف عند الباب قابضاً على مسكته وهو يتردد:

«ليا...».

«اجل».

هز رأسه بعصبية:

«لا عليك، سألتقي بك هناك».

تمنت ليا لو طرح عليها السؤال الاكثر الحاحاً في ذهنه لانه كان بذلك سيخفف من التوتر المفاجىء الذي برز بينهما. وحاولت ان تبدو مرحة منشرحة الاسارير كما يرغب والداها في رؤيتها اثناء الفطور. غير انها عاشت فترات صمت وكآبة وهي تفكر برايلي ومكانه وعمله واحتمال لقائها.

وبعض ذلك يعود الى الحديث الذي جرى في جناح والديها اللذين رغبا في تلقي وصف دقيق عن حادث الطائرة وعما فعلت خلال الأحد عشر يوماً التي تلت الحادث.

كان طبيعياً ان لا تروي ليا الاحداث دون ان تركز على الدور العظيم الذي لعبه رايلي في انقاذها. وكلما كررت اسمه، فكرت به اكثر. وما كان عليها الا ان تغمض عينيها لترى صورته المرتسمة في ذهنها وتتذكر كيف نامت بين ذراعيه. وقال والدها:

«ربما كان علينا ان نصطحبك الى الطبيب بعد الظهر».

اجابت بغضب قبل ان تحمر خجلاً وندامة امام نظرة شقيقها الموبخة:

«لماذا؟».

عبس والدها وهو يحدق النظر اليها:

«لنتأكد ان جرحك قد شفي بطريقة سليمة وان لا خطر من التهابات».

ولم تتذكر ليا ان تلمس الضمادة على ذراعها اليسرى الا قبل بضع دقائق من اطلاعها والديها على ما اصابها من حمى. وهمست:

«انه بخير، ولا سبب لزيارة الطبيب».

وابتعدت عن نافذة الغرفة فيما ضحكت امها دون ان تنتبه للتشنج الذي اصاب ابنتها:

«صحيح يا حبيبتي؟ لا يمكنني الا ان ادهش لعدم اصابتك بالتهابات في رئتيك نتيجة برد الليل القارس في هذه المنطقة».

ذعرت ليا مع ان امها لم تبد ملاحظتها لتكتشف نوع العلاقة التي شدتها الى رابلي. وادركت ليا انها حاذرت التعليق بشيء قد يكشف عن مشاعرها. وشعرت بالذنب دون سبب سوى قلة صراحتها هي التي تعودت الا تخفي شيئاً عن والديها. ثم رفعت ذقنها تعبيراً عن التحدي:

«السبب يا امي بسيط. فأنا ورابلي نمنا جنباً الى جنب طلباً للدفء».

ثم ساد الصمت للحظة شحنت بالترقب وقالت ليا وهي تمد يدها بعصبية الى علبة السجائر الموضوعة على طاولة الزينة:

«لم اقصد ما فهمتم. فرابلي لم يجامعني».

ترددت امها وهي تبحث عن الكلمات المناسبة:

«ليا... بصدق اقول لك اننا لم نفكر بمثل هذه الأمور».

اطبقت ليا شفتيها. واشعلت السيكارة:

«اعرف. ولكن...».

اكمل والدها الجملة وهو يضع يديه خلف ظهره وينظر من النافذة:

«ولكن، هذا ما تفكرين انت به».

«انا احبه، يا ابي».

«آه. فهمت. ولكن، ما هو شعور السيد سميث؟».

«لست ادري. ولكن، هو... انه... انه لم يأت. اليس كذلك؟».

«كلا».

ثم سألتها امها بلطف:

«هل متأكدة مما تقولين؟ ربما كان شعورك هو العرفان بالجميل. فكل تسعة مرضى من اصل عشرة يقعون في حب اطبائهم».

هزت ليا رأسها الذي لونته الشمس وضحكت بحزن:

«كلا. ليس ما اشعر تجاه رابلي عرفاناً بالجميل».

استدار والدها عن النافذة وقد نفذت نظرته الثاقبة اليها. وقال بغضب:

«انك بالكاد تعرفين الرجل يا ليا».

«لا اوافق على هذا الرأي. فأنا ورابلي عشنا في الصحراء مدة احد عشر يوماً بمفردنا في ظروف قاسية تظهر اي انسان على حقيقته».

اصبح الحديث عن رابلي مزعجاً لأن ليا لم تعرف كم تستطيع ان تحافظ على رباطة جأشها خصوصاً ان الشكوك في مدى حبه لها قد بدأت تتضح وتظهر.

ثم مررت يدها على خصر ثوبها القطني الصيفي:

«اذا سمحتم، سأعود الى غرفتي واستريح قليلاً».

ولم تفاجأ اذ لم يحاول والداها احتجازها فترة اطول. وتوقعت ان يناقشوا الأمر فيما بينهم، خصوصاً انه تبين لهم ان ابنتهم وقعت في حب رجل غريب عنهم كلياً.

اتكأت ليا على باب الغرفة الذي اوصدته وراءها، وحاولت تقويم الوضع بمنظارها. ولكن، سرعان ما قطع قرع الباب حبل افكارها. وسألت بعصبية لأنها ارادت البقاء وحدها:

«من هناك؟».
«انا لوني. هل يمكنني الدخول؟».
«بالطبع».

ورفعت مزلاج الباب لتفتحه وهي تتنهد، ودخل لوني، ورمقها بنظرة تتفحص تعابير وجهها المضطرب. وسألت بعدم اكتراث:

«ماذا تريد؟».

«اعطتني الشركة اجازة اثناء غيابك. وبما انك عدت علي ان استأنف العمل. اما والدي فقد اعد الترتيبات لسفركم انتم الثلاثة الى لاس فيغاس. ومن هناك ينطلق بمفرده الى الاسكا حيث تلتحق به والدتي بعد بضعة اسابيع».

لم تعلق ليا اذ احست ان شقيقها يرمي ان يتحدث عن موضوع لم تعرفه. ثم اضاف بتبسطه المعتاد:

«الحقيقة ان الصحف اسهبت في الحديث عن رايلي سميث صديقك وحبيبك. فهو معروف جداً في ميدان اختصاصه».

اجابت ليا وهي تنظر الى يديها وقد عقدتها امام وجهها، والى اصابعها التي تحركت بعصبية:

«ليس رايلي سميث صديقي وحبيبي».

سأل لوني وهو يريد التأكد من حبها له:

«ولكن، الا تريدين ان يكون كذلك؟».

ردت ليا وهي تضحك بمرارة:

«احبه يا لوني. احبه اكثر مما تحب اي امرأة رجلاً. وهذا يريحني».

«لماذا تقولين هذا؟».

مشت بعصبية الى مرآة طاولة الزينة حيث وقفت لتنظر الى طيف اخيها الشديد الانتباه:

«لأنه قال تقريباً الشيء نفسه الذي قاله والدي، ولكن بطريقة مختلفة. لقد قال ان الوقت الذي قضيناه معاً سيبدو كحلم بعد عودتنا

الى المدينة. وهو يقصد بذلك انني سأنساه بعد ان ارجع الى اهلي والعالم الحقيقي».

علق لوني:

«لكنك لم تفعلي».

«كلا، لوني، هل تعرف اين يقيم؟».

«تريدين الذهاب اليه. اليس كذلك؟».

اومأت برأسها ايجاباً. واضاف:

«لا اعرف اين يقيم. ولكن ليس من الصعب العثور عليه في مدينة بحجم تورونتو. دعيني اولاً اجري بعض المخابرات والاتصالات الهاتفية».

ولما عرف لوني اين يقيم رايلي، طلبت ليا منه ان يأخذها الى الفندق الذي نزل فيه لأنها قررت القيام بمحاولة اخيرة لرؤيته قبل ان تقتنع بعدم حبه لها.

عندما ترجلا من السيارة وانطلقا الى مدخل الفندق، قالت ليا لشقيقها:

«لا داعي لان تصطحبني يا لوني».

فشبك ذراعيها وقال مبتسماً:

«لم يكن هنا عندما اتصلت به، ولعله لم يعد، سأذهب معك وارى».

فرفعت ذقنها بتصميم:

«اذا لم يكن رايلي موجوداً فسأنتظر حتى يعود. لن اغادر قبل ان اراه».

ثم طلب اليها لوني ان تنتظر عند مدخل الفندق حتى يذهب ويسأل عنه. وبعد بضع دقائق عاد ليمسك بكوعها ويقودها عبر ممر تحيط به غرف عديدة:

«تعالي».

«هل هو هنا؟».

ابرز لوني مفتاحاً:

«كلا، ولكن بامكانك ان تنتظريه في الغرفة».

«كيف حصلت على هذا؟».

«رشوت الشخص المناسب لأنه ليس بامكاني السماح لشقيقتي بانتظار رجل في قاعة الانتظار في فندق».

ثم شد على يدها فيما اغرورقت عيناها بالدموع واشتدت الغصة في حلقها حتى استحال عليها ان تشكره. ونظر لوني الى الأرقام المطبوعة على ابواب الغرفة. ثم فتح باباً وهو يقول:

«هذه هي غرفته. اتمنى لك حظاً سعيداً. اذا لم يقتنع بكلامك اتصلي بي وسأحضر للتحدث اليه».

عانقته ليا وهي تهمس:

«ماذا يمكنني ان افعل بدونك؟».

«يمكنك ان تفعلي كل شيء بدوني. ولكن اذا كنت تحبين هذا الرجل قدر ما تقولين فلا يمكنك ان تفعلي شيئاً بدونه. اسعي كل قدرتك للحصول عليه».

بقيت ليا وحدها في الغرفة بعد ان غاب لوني:

لم تكن في الغرفة ساعة. ولم تعرف كم عليها ان تنتظر عودة رابلي. وخيل اليها ان ساعات وساعات مرت فيها اخذت تتهادى من السرير الى الكرسي الوحيد الى النافذة والى السرير، وفكرت بمناظرات عدة القتها على نفسها تكراراً.

الا انها نسيت كل ما فكرت به عندما سمعت مفتاحاً في قفل الباب. وفيما فتح رابلي الباب تجمدت بجانب الكرسي. فلم يرها وهو يغلق الباب ويلقي بزته على السرير مما اعطاها ثواني لتتأمل ملامحه المتعبة.

وبينما كان يفك ازرار قميصه العليا لمحها، فتوقف عن عمله وحدّق اليها. لقد تأملت ليا ان تفاجئه وتتمكن بالتالي من مشاهدة علامة فرح في وجهه لدى رؤيته لها. الا ان ظنها خاب.

«ماذا تفعلين هنا يا ليا؟».

جف حلقها، واحست ان آمالها تحطمت فجأة. لكنها بللت شفتيها:

«جئت اراك واتحدث معك، لقد انتظرتك ساعات، فأين كنت؟».

تنفس رابلي عميقاً:

«كان علي ان اري مدير الشرطة مكان الحادث. وانتظرت حتى انتشلوا جثة غرادي من تحت الحطام. ثم عدت للاتصال باسرته ووضع الترتيبات لارسال جثمانه الى لاس فيغاس لاجراء مراسم الدفن. واعتقد ان احد رجال الشرطة قام بايصال امتعتك».

تجنبت ليا اي حديث عن تعاطفها مع اسرة غرادي وحزنها لوفاته لأنها لم ترد اعطاء رابلي فرصة لتجنب الموضوع الذي اتت من اجله. وقالت:

«كان بامكانك ان تحضر انت امتعتي، فلماذا لم تفعل؟».

اجاب بصراحة متناهية وهو يمرر يده بتعب على خده وذقنه:

«لا اريد ان اراك. واريد ان تصغي الي. فأنا متعب واشعر بالحر الشديد. واحتاج الى حمام وقليل من النوم. لماذا لا تقولين ما جئت لقوله وتخرجين؟».

اجابت ليا بدهشة:

«احبك يا رابلي».

تمتم بغضب:

«يا الهي. لقد تحدثنا في هذا الموضوع من قبل».

ابتسمت ليا بحزن:

«وسبق ان اعربت عن اعتقادك بأن شعوري نحوك سيخبو فور عودتي الى اهلي والعالم الحقيقي. لكن انظر حولك يا رابلي لترى انك مظلل بسقف ومحاط بجدران وتعيش في غرفة تجري فيها المياه الباردة والساخنة وتحيط بها طريق عامة تسلكها السيارات والشاحنات،

هذا كله من صنع الانسان لا الارانب والحيات. ولكننا بقينا كما نحن. وبقيت احبك فوق ما احببت اي انسان لشعوري بالفراغ وانا لا استيقظ بين ذراعيك».

لفهما صمت غريب فيما التقت نظراتهما. وبدا وجهه الأنيق الخالي من التعبير اشبه بقناع لوحته شمس الصحراء وريحها. ثم استدار فجأة ليتجه بسرعة الى الطاولة ليصب بعض الثلج والماء في كوب بلاستيك وهو يتمتم:

«انت لا تعرفين ماذا تقولين».

تبعته ليا فيما حاولت خلع معطفها.

«قلت لك ذات مرة يا رايلي انك اذا تركتني سأتبعك. وانا اعني ما اقول يا رايلي. فاذا لم ترد ان تبقيني معك كزوجة، سأبقى معك بأي شكل».

«هل...؟».

لم يكمل رايلي جملته فيما استدار نحوها ليرى ما تفعل ويصرخ:

«ماذا تفعلين؟».

ثم دفع بالكوب الى الطاولة، فانصب بعض الماء على جوانبه. واندفع بسرعة البرق الى السرير لينتزع غطاءه ويلفها به. وقابلت ليا نظرته المتقدة غضباً وهي تعيد كلمات اسمعها اياها ذات مرة:

«الجسم العاري جزء من الطبيعة. لماذا اخجل ان تراني بلا ملابس مرة ثانية؟».

اجاب رايلي وهو يشد الغطاء حولها:

«الأوضاع تختلف الآن».

«ما هو وجه الاختلاف؟».

اجاب بصوت مفعم بالرغبة:

«لأنني افكر كرجل ابيض لا كرجل هندي».

علقت ليا على عبارته بسؤال:

«انت تريدني اذن؟».

فعانقها بحرارة... ثم همس:

«انك تحتاجين مزيداً من الوقت».

«الوقت لن يغير من مقدار حبي لك ومقدار رغبتي في الحصول عليك».

«كيف اشرح لك الوضع؟ ليا، انا ان صادقتك لن اسمح لك بالابتعاد عني لانني احبك الى حد يجعلني الزمك بالبقاء معي سواء شئت ام لم تشائي. وانا اعرف انك تحبيني».

ضحكت من فرط سعادتها العارمة:

«يا حبيبي يا رايلي. انا لست مريضة تقع في هوى طبيبها، انما امرأة تقع في هوى رجل تحبه ولا تريد ان تبتعد عنه».

وفيما شدد قبضته عليها سألته لتحاول ان تعرف اذا كان يقول لها الحقيقة:

«ان كنت تحبني، فلماذا لم ترد ان تراني؟».

«لعلمي انه لو تكررت لقاءاتنا لما استطعت ان امنع نفسي من معاشرتك وانت لا تعرفين كم اتعذب لانني لم امتلكك وانا احبك كل هذا الحب».

ثم ارخى قبضته عنها وامسك بوجهها يتأمله فيما همس:

«ارجوك ارتدي ثوبك حتى نذهب الى والديك ونضع ترتيبات العرس».

تلألأت في عينيها دموع ماسية فيما همست وقد غمرتها السعادة:

«هل تريد ان تتزوجني؟».

نظر رايلي في عينيها ثم قال وهو يعانقها:

«سأتزوجك قبل ان تصبحي صديقتي وخليلتي».

www.rewity.com/vb